شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥٨

العدد الأول : المجلد الثامن والخمسون
شعبان ورمضان ١٤٣٣هـ. يوليو وأغسطس٢٠١٢م

زعماء الغرب يخططون ضد الإسلام ومشاعره!

قضايا المسلمين في العالم ومسؤلية الدول الإسلامية

كيف نتعاون في إصلاح الفكر

الرُوح والرَوح في القرآن الكريم

موقف المسلم فى النوازل والأحداث

الإيثار ضرورة إسلامية

التشبيه في شعر ذي الرمة

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221,2741231, e-mail : thealbaas@nadwatululama.org

١٠٥٦٣
١٨١٢٠ جرائد

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشاها:
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى
في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥٨

رجب ١٤٣٣هـ يوليو وأغسطس ٢٠١٢م Issue,01 Vol,58

المجلد الثامن والخمسون
العدد الأول

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف فى العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجديد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر ، وأن يزاد فيه ، ويحذف منه بحسب تطورات العصر ، وحاجات المسلمين وأحوالهم .

(سماحة العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى)

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي
مساعدا التحرير:
محمد فرمان الندوي
محمد عبد الله الندوي
مسئول مكتب المجلة:
أختر سهيل

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ - ٠٥٢٢
AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow.
Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231 E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة	٣٠٠/٠٠ روبية
ثمن النسخة:	٣٠/٠٠ روبية

في العالم العربي
وفي جميع دول العالم:
٥٠ دولاراً بالبريد الجوي
أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة
بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:
باسم "البعث الإسلامي"
A/C 10863759846
(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT
NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

العدد الأول- المجلد الثامن والخمسون - شعبان ورمضان ١٤٣٣هـ يوليوواغسطس ٢٠١٢م

الافتتاحية :		
زعماء الغرب يخططون ضد الإسلام ومشاعره !	سعيد الأعظمي الندوي	٣
التوجيه الإسلامي :		
كيف نتعاون في إصلاح الفكر	الدكتور محمد بن سعد الشويعر	٩
الرُوح والرَوح في القرآن الكريم	الأستاذ الدكتور محمد علي مُلاسي	١٣
الدعوة الإسلامية :		
موقف المسلم في النوازل والأحداث	الأستاذ علي بن عبد العزيز الشبل	١٧
الإيثار ضرورة إسلامية	الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد	٢٠
دراسات وأبحاث :		
التشبيه في شعر ذي الرمة	الدكتور محمد مظهر عالم الندوي	٢٨
التصورات الجغرافية الإسلامية	الأستاذ أنيس الرحمن الندوي	٣٢
موقف علماء الهند من الاستشراق	الأستاذ صاحب عالم الأعظمي	٤٧
دراسات أدبية وتاريخية :		
الإمام الشهيد حسن البنا	الدكتور إحسان الله خان الندوي	٥٧
الدوافع الإسلامية وراء تنشيط حركة الترجمة	الدكتور محمد أنيس الفاروقي	٦٨
الأدب العربي في علاقته بالفكر في إطار التيارات العالمية	الدكتور جمال الدين الفاروقي	٧٤
أثر الحديث النبوي في اللغة والأدب	الأخ محمد محامد حسين الندوي	٧٩
صور وأوضاع :		
قضايا المسلمين في العالم ومسئولية الدول الإسلامية	الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي	٨٩
من كنوز القرآن الكريم :		
مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي	محمد فرمان الندوي	٩٤
إصدارات حديثة :		
الإسلام والمشكلات الفكرية الجديدة	قلم التحرير	٩٩
الطريق نحو صالح العمل	" " "	٩٩
الفلسفة الإسلامية للزلازل	" " "	٩٩
فضائل الجمعة ومسائلها	" " "	١٠٠
وفاة ابن سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، ابراهيم ﷺ	" " "	١٠٠
الزيتون ومنافعه الخارقة ، ونبوءة قرآنية عظيمة	" " "	١٠٠

الدرب خزينة للتراث الدعوي

الافتتاحية :

زعماء الغرب يخططون ضد الإسلام ومشاعره !

من كان يظن أن الغرب يبلغ به العداء ضد الإسلام إلى آخر المدى الذي ليس بعده نهاية ، ويُجري أخيراً تجربة إقصاء الإسلام عن العالم البشري ، والقضاء عليه بتاتاً !؟ فقد أفادت وكالات الأنباء العالمية أن الغرب يعيش اليوم أحلاماً مزعجة نحو الاتساع السريع لنطاق الشريعة الإسلامية ، والسير الحثيث إلى الاهتداء إلى دين الإسلام ، وتهيباً من هذا الواقع أصدر قراراً من خلال برلمان ولاية كنساس عن وضع الحجر على القوانين الإسلامية ، زاعماً أنها أكبر عائق في سبيل المساواة والعدالة الاجتماعية ، وقد ضمت المحاكم صوتها إلى صوت هذا القرار ، واستهدفت الشريعة الإسلامية وصرحت بأنها قانون أجنبي وافد من خارج البلاد ، ويتناقض مع شرعية القانون الأمريكي ، وهنالك أدلى أعضاء البرلمان أصواتهم ضد قانون الشريعة بعدد ٣٤/مقابل أربعة ، ممن طلبوا إعادة النظر على القرار ، ولكن معارضي الشريعة الإسلامية أوّلوا تأويلاً بارداً مؤكدين أن هذا القرار لم يصدر إلا لتحقيق سيادة القانون الأمريكي وحقوق المحكمة العليا ، في المساواة بين الرجل والمرأة ، وقضية الرجم والطلاق وما أشبه ذلك من أمور وقضايا .

الواقع أن الموافقة على هذا القرار ، إنذار لمسلمي أمريكا والمقيمين فيها بأنه لا مناص من العمل به وتنفيذه في جميع شئون الحياة ، ولا شك فإن الاستهانة بالشريعة الإسلامية بوضع قانون ضدها وبواسطة البرلمان والحكومة تؤشر إلى أن عداوة الغرب ضد الإسلام والمسلمين قد امتزجت

بلحوم ودماء رجال الغرب ، ولعل هذه الجراءة بمثل هذه الصراحة يمكن أن تكون سهمهم الأخير ، صوبوه إلى صدور المسلمين ودعاة الإسلام ، وذلك من خلال زعماء الولايات المتحدة الذين لا ينفكون عن توجيه دعوة الاعتدال والحرية للعالم كله شرقاً وغرباً ولا يتعبون بتكرار كلمة "الديمقراطية" ذلك الفخ الذي يصيدون به السذج من الجماهير ، وأفراد الأمة الإسلامية الذين لا يعرفون للنفاق معنى ، ولا يرضون به في حياة الأفراد فضلاً عن أن يسمحوا به في الحياة الاجتماعية .

هل أتاكم أيها – القراء الكرام – أبجدية الجيش الأمريكي ، التي يتلقى بها أول درس من أول يومه ؟ وهو على ما يأتي :

- لا خطر أعظم من الإسلام في طريق نهضة العالم البشري وتطوره .
- لا مناص من رد غارة الإسلام بأي طريق ممكن .
- الإسلام بمعزل عن الاعتدال ولا يعرف طريقاً نحو متطلبات الحياة البشرية .
- شن الحرب ضد الإسلام هو الطريق الوحيد للنجاة .
- لابد من مقاومة الغزو الفكري الذي يتولاه الإسلام بالحيلولة دونه بقوة السلاح .

هذا ملخص المنهج الذي أعده الغرب لتربية الجيش على هذه القواعد ، ولتعميق عداوة الإسلام إلى أعماق النفوس ، وقد جعل رسالة الجيش هدم أسس الدين الإسلامي واقتلاع جذوره من الحياة والمجتمع .

إنه سيل جارف لمعاداة الإسلام ومنهج الحياة الذي يدعو إليه الإسلام ، ولكن الغرب المسكين يقرر أن الإسلام هو الأساس لجميع المشكلات ، والمصائب التي يعاني منها العالم المعاصر اليوم ، فهو يُعد الجيش للغزو العسكري الكبير للقضاء على الإسلام ومناهجه ، ومعلوم أن جميع التجارب العملية للوسائل والإعدادات اللازمة التي باشرها الغرب لمحاربة

الإسلام والمسلمين آذنت بالفشل الذريع ولم ينجح منها شيئ ، فهو يركز على إيجاد طريق سريع لتحقيق هذا الغرض المشئوم ، وقد توصل إلى حيلة أخرى سريعة التأثير في إنجاز مشروعه ضد الإسلام والمسلمين .

ولعلها تكون آخر الحيل في محاربة الإسلام واقتلاع جذوره من جميع النواحي ، حتى يكون – كما يزعم الغرب – آخر مسمار في هيكل الإسلام العملاق ، الذي ليس من صنعة صانع ، ولا من قدرة قادر ، إنّما خلقه الله سبحانه وتعالى كنظام دقيق خالد باق نام ، لا يطرأ عليه قِدم ولا بلى ، بل لسائر الحياة والمجتمعات والكائنات كلها بتقدير العزيز العليم : ﴿ لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِيْ لَهَا أنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ* وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ* وَكُلٌّ فِيْ فَلَكٍ يَّسْبَحُوْنَ ﴾ {يسين/} ﴿ لاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَنَّمَا نُمْلِيْ لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ * إِنَّمَا نُمْلِيْ لَهُمْ لِيَزْدَادُوْا إِثْماً * وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ ﴾ {آل عمران/} .

إنّ عداوة الإسلام رسخت في قلوب أهل الغرب على جميع المستويات والمحتويات ، وحملتهم على أن يعلنوا إعلاناً صارخاً أن هدفهم الآن أن يستخدموا جميع الآليات والوسائل السريعة التأثير في الغارة على الحرمين الشريفين بالقنابل الذرية ونسفهما وتدميرهما بالكلية – لا قدر الله تعالى – حتى لا يبقى عين ولا أثر لهذين المشهدين العظيمين اللذين لهما قدسية كبيرة جليلة ، إذ كانا ينبوعين ثرّين لتجديد الإيمان في قلوب المسلمين ، ومصدرين سماويين لتزويد الأمة الإسلامية ، ببشاشة الإيمان والعمل ، وشحن بطاريتها بطاقة العقيدة والحبّ والأمن والسلم .

هذه الغارة ليست ضد المسلمين فحسب بل الواقع أنها حرب لطمس الإسلام والإتيان على مصدريه ، ذاك أن الولايات المتحدة لا بقاء لها ما لم يتم تدمير مكة والمدينة على غرار هيروشيما ، وناغاساكي ، هذا هو الدرس الأول الذي كان يتلقاه الجنود في كلية القوات للمؤظفين في شمالي ورجينا

حيث كان أستاذ الجيش الأمريكي "كرنل ميثودولي" قد لقن الجنود الأماركة قائلاً : "أيها الجنود إذا كنتم تحبون بقاء أمريكا وصيانتها فأنتم مسئولون عن إعلان الحرب ضد مليار ونصف مليار مسلم ، إذ لا يليق المسلم بالثقة ، وإن الإسلام هو الذي يغلق الباب في وجه الاعتدال ، وإن المسلم راكن إلى "القاعدة" سواء كان دينياً أم لم يكن" .

إن الجيش الأمريكي يلقن درس الغارة على العالم الإسلامي وتدمير الحرمين الشريفين ، وتحريق وتمزيق نسخ القرآن الكريم وإن الشباب المسلم يُطارد من خلال المخابرات الأمريكية ، والدول المسلمة مستهدفة ، أمريكا تزعم أنها أكبر قوة في العالم كله ، ولكنها تعيش بصورة معاكسة لهذا الإدعاء ، وقد زعمت خارطة جديدة للعالم كله ، وإن كان ذلك تهديداً للعالم الإسلامي الذي تنظر إليه أمريكا كعقبة كأداء في طريق تنفيذ مخططاته ضد الإسلام ومشاعره .

وسوف لا يكون الناس قد تناسوا قصة "أوباما بارك" الذي كان بمناسبة زيارته للقاهرة عقب تسلمه زمام الرئاسة ، قد أثنى على الإسلام والمسلمين ومدح المنهج الإسلامي للحياة ، وهنالك كان العالم الإسلامي كله عقد آمالاً معسولة بإسلاميته ، ورجا أهله أن إسلام "فخامة الرئيس" سوف يبرز إلى الساحة بمرور الأيام ، ولكنه لم يستطع خوفاً من سادته اليهود ، وركز لبقائه في منصب الرئاسة على إثبات نصرانيته ، وإبداء عدائه للإسلام وإظهاها ولائه و وفائه لدولة إسرائيل الصهيونية المحتلة في الأراضي المقدسة وسيطرتها على الأقصى المبارك ، وبدأ يشجع اليهود على إخراج الشعب المسلم الفلسطيني من ديارهم بتزويد إسرائيل بالأسلحة الفتاكة ، وبالحصار الاقتصادي للفلسطينيين وإمداد إسرائيل بالمال وصناعة الأسلحة الذرية ، وبناء قاعدة للهجوم المفاجئ على العالم الإسلامي

بالطائرات الحربية المزودة بالذخائر السامة الذرية .

العالم كله على علم بأن موعد انتخاب الرئاسة الأمريكية ليس ببعيد ، فكان عليه لكي يفوز بمنصب الرئاسة مرة ثانية أن يفاجئ الأمريكان بإعلان مثير وذلك هو تدمير الحرمين الشريفين بالغزو العسكري المفاجئ ، ومن يدري أنه يستطيع ذلك أم لا ؟! ولا يأتي في موضع الحساب والجواب .

إذن فإن مجرد إعلان الغارة على العالم الإسلامي والغزو العسكري الذري لتدمير مراكز الحب والعقيدة لدى المسلمين في العالم كله يكفي لإثارة الغرائز العدائية لغير المسلمين في الولايات المتحدة ، وانتخابه إياه رئيساً في الجولة الثانية للرئاسة .

مما يعرف الجميع أن وزيرة الخارجية الأمريكية "هيلري كلنتن" كانت في جولة لبنغلاديش قبل أيام عديدة ، فلما واجهت لدى زيارتها واقع عداوة أمريكا للإسلام ، كان ردها على ذلك بما يأتي :

كلما قرعت أذني أقوال عن عداوة أمريكا ضد الإسلام ، أجد في نفسي حزناً وأسى بالغين ، فليعلم الذين لا يعلمون أن وسائل السلامة والصيانة التي توفَّر للأقليات المسلمة في أمريكا بالغة إلى آخر المدى ، فإن كان هناك شئ مما يعني العنصرية والعصبية الدينية فذاك واقع لا يخلو منه العالم بأجمعه ، ولنا أن نتساءل عما يلقن الجيش الأمريكي من دروس النفور والعداء ضد الإسلام ؟ فما السبب في ذلك ، فإذا كانت أمريكا تمنح أي إنسان حرية تحريق القرآن الكريم فعلى أي أساس ؟ هل إن معنى الحرية ما يتمتع به الأماركة ولا حق لغيرهم في معنى الحرية ولا نصيب لهم منه ، فكيف هذه الحرية التي تستخدم ضد الإسلام وشعائره ومشاعره وعقيدته وكتاب الله تعالى وتعاليم رسوله ﷺ .

ألا يرى الحكام الأماركة والذين معهم ، مصير عدوان الدول

الأوربية والغربية ، فإن من تولى الحروب الأفغانية العراقية هو الرئيس "جورج دبلوبوش" الذي انتهى بنفسه وبحزبه إلى مصير مظلم مجهول ، وكذلك رئيس الوزراء البريطاني السابق "توني بلير" وحزبه تأدى إلى أسوء مصير من الحكم إلى المعارضة ، وأن إيطاليا وفرنسا قد ساعدتا ثوار ليبيا ، بالرغم مما أحسن حكام ليبيا إلى رئيس إيطاليا "سلويوبرلوسكوني" ورئيس فرنسا "نكولس سركوزي" ، فماذا كان مصيرهما الآن ؟ يعرف ذلك العالم كله .

هذا غيض من فيض للبرامج الهدامة ضد الإسلام التي تتولاها الولايات المتحدة ، ويزمع على تنفيذها في العالم الإسلامي فخامة الرئيس "أوباما باراك حسين" الذي يريد أن ينسف الحرمين الشريفين بمجموعة من الطائرات الحربية ، التي تنطلق من قاعدة حربية قريبة تسهّل إنجاز هذه العملية المشئومة بأسرع وقت ممكن ، ولعله بذلك يريد أن يُثبت ولاءَه لليهودية العالمية ، والصهاينة المغضوب عليهم ، حتى يتمكن من إحراز الفوز البيّن في الانتخاب الرئاسي القريب ، إذ من المعلوم أن "أوباما" أعلن عن ذلك في أول حفلة دعائية ، سأل فيها الشعب الأمريكي أن ينتخبوه للمرة الثانية .

ونحن بانتظار هذا المخطط الخبيث النجس متى سيجد طريقه نحو التنفيذ العملي ، وأيّ مصير سيواجهه الغرب ، وفي مقدمته أمريكا ، التي تعيش اليوم في حمأة السوءات ، ومشارف الفقر على جميع المستويات .

الله سبحانه و تعالى يقول : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً * يَأْتِيْهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّنْ كُلِّ مَكَان * فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ * فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوْعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوْا يَصْنَعُوْنَ ﴾ .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٣٣/٧/٥هـ
٢٠١٢/٥/٢٩م

التوجيه الإسلامي :

كيف نتعاون في إصلاح الفكر ؟!!

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – المملكة العربية السعودية

استوقفني حديث أجرته صحيفة الجزيرة في عددها ليوم الجمعة ١٤٢٤/٥/١هـ ، الصفحة/٨ ضمن محاورة تكفيريّ تائب ، حيث أبان ذلك الحديث عن أمور كثيرة مهمة ، انقلبت بها أفكار بعض الشباب ، إلى أمور ما تكاد تصدّق ، لو لا أنها حصلت بالفعل ، وبانت آثارها السيئة ، التي أعان الله ولاة الأمر في كشفها ، والتصرّف على خلايا هذا الفكر ، في حملة – موفّقه بإذن الله – لحماية الأمة والبلاد ، من شرور كانت تحاك ، وبأيدي شباب انحرفت مفاهيمهم ، لأمور حذّرت منها تعاليم ديننا ، وأعاننا رسول الله ﷺ ، في التعريف بها قبل أن تقع ، وبإبانة المخرج منها ، عندما قال عليه الصلاة والسلام : "أنها فتن كقطع الليل المظم" ، قالوا : يا رسول الله ! فما المخرج منها ؟ قال : "كتاب الله وسنتي" .

فالاعتصام بكتاب الله ، والحرص على فهمه فهماً حقيقياً ، والتعمق في سنة رسول الله ﷺ ، بعين باصرة ، وفهم واع ، وفي ذلك العصمة من الزّلل ، والحصانة من قرناء السوء ، وما يحاولون بثه من فكر وافد .. وهو داء يحتاج إلى دواء ورسول الله يقول : "ما أنزل الله من داء إلاّ وله دواء" .

ذلك أن هذا التائب ، وهو الذي خاض في الفتنة حتى بلغ أثرها أذنيه ، وتدنس في وصلها حيث غاصت أخمص قدميه ، فأدرك بفكره الثاقب ، بعد أن أنار الله بصيرته ، وفتح عليه مغاليق ذهنه ما كاد يندرس من دروب الحق ..

فإن الله سبحانه أعطى الإنسان : إحساسين ككفتي الميزان ، أخذاً وعطاءً ، ليميز بهذا الإحساس ، الفرق بين النافع والضّار : ﴿ لِيَمِيْزَ اللهُ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّب ﴾ {الأنفال/٣٧} .

فإذا أراد الله بالإنسان خيراً رنا فؤاده لكل طريق يوصّله إلى ذلك ،

ويعينه الله على تخطّى العقبات والأشواك في ذلك الطريق وما يحفّ بـه ، ولا شكّ أن هناك غيره ، ممن حرّكت عندهم الحوادث ، ويقظة الدولة في محاربة هذا الفكر ، واجتثاث جذوره ، الشعور بالندم ، وإدراك خطأ ما قِيدُوا إليه من فكر خاطئ ، وشعارات لا يدركون أبعادها ، ولا ما يريده المنظّرون لهذا الفكر ، و لا ما تعنيه تلك الشعارات .. من إرهاب و إضرار بالإسلام والمسلمين .

وكان من أبرز ما جاء في ذلك الحوار أمور اندفع وراءها : شباب لم تنضج عقولهم ، ولم يتسلحوا بالعلم النافع ، بل منهم من كان عاصياً لوالديه ، وكذاباً مع من حوله ، والمؤمن لا يكون كذّاباً ، لأن الكذب من خصال المنافقين ، الذين أخبر الله عنهم ، بأنهم في الدرك الأسفل من النار ، ولا نصير لهم عند الله ، نقول : بان لنا من ذلك الحديث نقاط من أبرزها :

= أن فكرة التكفير برز دعاتها ، بصورة واضحة مع حرب الخليج الأولى حدّدها التائب بعام ١٤١١هـ .

= وأن منبع هذا الفكر في أفغانستان ، الذي اجتمع فيه خليط من العرب وغيرهم ، وكان يتزعّم ذلك أسامة بن لادن ، وهدفهم الأول هذه البلاد ، مَرْنا أفئدة المسلمين ، وفيها الحرمان الشريفان .

= ركّزوا – حتى يكبر الحقد ويتحقق ما يريده وأعداء دين الله من الخارج – في تكفير العلماء : الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ محمد بن عثيمين ، والشيخ ناصر الدين الألباني وغيرهم رحمهم الله تعالى ..

= واتبعوا ذلك بتكفير حكّام وعلماء هذه البلاد خاصّة ، وغيرهم عامّة .. وهذا التكفير ترتّب عليه الفتوى ممن لا علم عنده ولا ورع : بالقتل والتخريب .

= بعض من يدّعون مشايخ الصحوة ، هم من تبنّى منهج التكفير ، وعزل الشباب عن العلماء ، بل وتنفيرهم منهم ، حتى تحدث فجوة بين العلماء والشباب ، لتكون فرصة يغتنمها أصحاب الأهواء لبلبلة الأفكار .

= هناك من يغذّى هذا الفكر داخلياً وخارجياً بالتجمعات والمنشورات ،

ويعين على توسيع دائرته ، بالتدليس والإثارة .

= ثم ذكر التائب في حديثه الطويل المهم ، الذي فتح نافذة على هذا الفكر والمخطّطين له ، وما يريدون من تخريب وشرّ وإفساد ، بدون هدف معيّن ، ذكر نقطتين مهمتين ؛ هما قوله :

= تنبّهوا فالحملة المسعورة للتكفيريين ، تستهدف الصغار ، ومن هم دون العشرين .

= للأسف هناك الآن كتب وأشرطة ، توزّع وتباع في الأسواق ، تحرّض على الإرهاب والتكفير ، هذه الأمور وغيرها ، التي وضعها التائب في محاورة الجزيرة له ، ما هي إلا علامات وضعها على الطريق تنبئ عن الداء ، وتدعو إلى التكانف بين العلماء والمفكرين ، و ولاة الأمر والآباء ، وأبناء الأمة الإسلامية ، الذي بُذل الكثير من الجهد والوقت والمال ، في سبيل وحدتها : عرباً وعجماً في كيان متماسك ، تحت راية التوحيد : لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله .. وبدستور وتحكيم شرع الله في عباده الله : القرآن الكريم والسنة المطهرة .. ومن تمسّك بهما وجعلهما هدفه وغايته : بصدق وإخلاص ، أعانه الله سبحانه ، وفتح له مغاليق الأمور ، ويسر أمره ، ونصره من حيث لا يحتسب ، ألم يقل سبحانه : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ * وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ {محمد/٧} ويقول جلّ وعلا : ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ {الروم/٤٧} وهذا وعد من الله ، و وعده جلّ وعلا لامراء فيه ، ولا جدال .

= هذه الأمور تدعونا إلى أن نرجع إلى الوراء قليلاً – قبل أن ندخل فيما يعين على إصلاح الفكر عند الشباب – في نظرة تاريخية ، عن بداية التكفير في المجتمع ، المبنّي على أفكار سيئة ، ومفاهيم خاطئة ، وذلك في فتنة عثمان بن عفان الخليفة الراشد ﷺ والتي حمل لواءها وبثّ سمومها عبد الله بن سبأ ، فأشاعها في أذهان الشباب ، حتى قدموا من مصر إلى المدينة ، ونتج عنها مقتل عثمان وهو تدليس كتاب الله ، بشبهات وضعت عنده .

زهد و أدب :

جاء في نفح الطيب ، أن شاباً حدثه قال : قصدت منزل ابن بطّار في

أشبونه ، ونقرت الباب ، فنادى مَن هذا ؟ فقلت : رجل ممن يتوسّل إليك بقرابة ، فقال : لا قرابة إلاّ بالتّقى ، فإن كنت من أهله فادخل وإلا فانصرف ، فقلت : أرجو في الاجتماع بك والاقتباس منك ، أن أكون من أهل التّقى ، فقال : ادخل ، فدخلت عليه فإذا به في مصلاه يسبّح الله ، وهو يعدّ بأصابعه ، فقال لي : أمهلني حتى أتمّ وظيفتي من التسبيح تم أقضى حقّك .

فقعدت حتى فرغ ، فلما قضى تسبيحه عطف عليّ ، وقال : ما القرابة التي بيني وبينك ؟ فانتسبت له فعرف أبي وترحّم عليه ، وقال : لقد كان نعم الرجل ، وكان لديه أدب ومعرفة ، فهل لديك أنت مما كان لديه شئ ؟ فقلت له : إنه كان يأخذني بالقراءة وتعلّم الأدب ، وقد تعلّقت من ذلك بما أتميّز به ، فقال لي : هل تنظم شيئاً ؟ قلت : نعم وقد ألجأني الدهر إلى أن أرتزق به ، فقال : يا ولدي ، إنه بئسما يرتزق به ، ونعم ما يُتحلّى به ، إذا كان على غير هذا الوجه ، ولكن تحلّ الميتة عند الضرورة ، فأنشدني أصلحك الله .. مما على ذكرك من شعرك .

فطلبت بخاطري شيئاً أقابله به مما يوافق حاله ، فما وقع لي إلا فيما لا يوافقه من مجون و وصف خمر وما أشبه ذلك ، فأطرقت قليلاً ، فقال : لعلك تنظم ، فقلت : لا ولكنّي أفكر فيما أقابلك به ، فقولي أكثره فيما حملني عليه الصبا والسخف ، وهو غير لائق بمجلسك ، فقال : أنشدني ما وقع لك غير متكلّف فلم يمدني خاطري إلا بشعر أمجن فيه ، فقال : أما كان في شعرك أطهر من هذا ؟ فقلت : ما وفّقت لغيره ، فقال : لا بأس عليك فأنشدني غيره .. ففكّرت إلى أن أنشدته أربعة أبيات في الغزل البريئ .

فرأيت الشيخ قد اختلط ، وجعل يجيئ ويذهب ، ثم أفاق وقال : أعد ، فأعدت فأعاد ما كان فيه ، فقلت له : لو علمت أن هذا يحرّكك ما أنشدتك إيّاه ، فقال : وهل حرّك مني إلا خيراً وعظةً .

فأعجبني منزعه ، وتأنست به ، ولم أر عنده ما يعتاد من هؤلآء المتدينين من الانكماش ، بل ما زال يحدثني بأخبار فيها هزل ، ويذكر لي من تاريخ بني أمية وملوكها ما أرتاح له ولا أعلم أكثره . {نفح الطيب : ١١٢/٢} .

الرُّوح والرَّوح في القرآن الكريم

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(أكاديمي خبير دولي – عضو اتحاد كتّاب مصر)

يخلط كثير من المتحدثين بين ضبط كلمة (الرُّوح) و (الرَّوح) ، ولكل منهما معنى خاص ، واستعمالات متباينة في القرآن الكريم ؛ فكلمة : "الرَّوح" وردت في مواطن متعددة من آيات بينات ، هي :

١- قول الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَايْئَسُوْا مِنْ رَّوْحِ اللهِ * إِنَّهُ لاَ يَايْئَسُ مِنْ رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُوْنَ ﴾ {يوسف/٨٧} .

والمعنى : ولا تقطعوا رجاءكم من رحمة الله ؛ إنه لا يقطع الرجاء من رحمة الله إلا الجاحدون لقدرته ، الكافرون به (١) .

٢- وقوله عزّوجلّ : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ * فَرَوْحٌ وَّرَيْحَانٌ * وَجَنَّةُ نَّعِيْمٍ ﴾ {الواقعة/٨٨-٨٩} .

والمعنى : فأما إن كان الميت من السابقين المقربين ، فله عند موته الرحمة الواسعة والفرح وما تطيب به نفسه ، وله جنة النعيم في الآخرة (٢) .

أما كلمة : (الرُّوح) فقد وردت في القرآن الكريم في الآيات التالية المباركات :

١- قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَآتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ * وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ ﴾ {البقرة/٨٧} .

والمعنى : أعطينا عيسى ابن مريم المعجزات الواضحات ، وقويناه بجبريل عليه السلام .

٢- وقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ * وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوْحِ

الْقُدُس ﴾ {البقرة/٢٥٣} .

والمعنى : وآتى الله عيسى ابن مريم عليه السلام البينات المعجزات الباهرات ، كإبراء من ولد أعمى بإذن الله ، ومن به برص بإذن الله ، وكإحيائه الموتى بإذن الله ، وأيده بجبريل عليه السلام .

٣- وقوله جلّ شأنه : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيْحُ عِيْسَى ابْن مَرْيَم رَسُوْلُ الله * وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِّنْهُ ﴾ {النساء/١٧١} .

والمعنى : إِنَّمَا الْمَسِيْحُ عِيْسَى ابْن مَرْيَمَ رَسُوْلُ الله ، أَرْسَلَهُ اللهُ بِالْحَقِّ ، وخلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم ، وهي قوله : ﴿ كُنْ ﴾ فكان ، وهي نفخة من الله تعالى نفخها جبريل بأمر ربه (٣) .

٤- وقوله عزّوجلّ : ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ * اذْكُرْ نِعْمَتِيْ عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتُكَ * إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوْحِ الْقُدُسِ ﴾ {المائدة/١١٠} .

والمعنى : إذ قال الله يوم القيامة : يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أب ، وعلى والدتك حيث اصطفيتها على نساء العالمين ، وبرأتها مما نسب إليها ، ومن هذه النعم على عيسى أنه قواه وأعانه بجبريل عليه السلام (٤) .

٥- وقوله تعالى : ﴿ يَنْزِلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوْحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ {النحل/٢} .

والمعنى : ينزل الله الملائكة بالوحي من أمره على من يشاء من عباده المرسلين ... (٥) .

٦- وقوله جلّ شأنه : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوْحُ الْقُدُسِ مِنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ {النحل/١٠٢} .

والمعنى : قل لهم – يا محمد – : ليس القرآن مختلقاً من عندي ، بل نزله جبريل من ربك بالصدق والعدل (٦) .

٧- و قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَ يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الرُّوْحِ * قُلِ الرُّوْحُ مِنْ أَمْرِ

رَبِّيْ * وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيْلاً ﴾ {الإسراء/٨٥} .

والمعنى : ويسألك الكفار عن حقيقة الروح تعنتا ، فأجابهم بأن حقيقة الروح وأحوالها من الأمور التي استأثر الله بعلمها ، وما أعطيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا شيئاً قليلاً (٧) .

٨- وقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ ﴾ {الشعراء/١٩٣-١٩٤} .

والمعنى : نزل بالقرآن الكريم جبريل الأمين ، فتلاه عليك – يا محمد – حتى وعيته بقلبك حفظاً وفهماً ؛ لتكون من رسل الله الذين يخوفون قومهم عقاب الله ، فتنذر بهذا التنزيل الإنس والجن أجمعين (٨) .

٩- وقوله جلّ شأنه : ﴿ يُلْقِى الرُّوْحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ ﴾ {غافر/١٥} .

والمعنى : ومن رحمة الله بعباده أن يرسل إليهم رسلاً يلقي إليهم الوحي الذي يحيون به ، فيكونون على بصيرة من أمرهم ؛ لتخوف الرسل عباد الله ، وتنذرهم يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون (٩) .

١٠- وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِيْ قُلُوْبِهِمُ الإِيْمَانَ * وَأَيَّدَهُمْ بِرُوْحٍ الْقُدُسِ ﴾ {المجادلة/٢٢} .

والمعنى : أولئك الموالون في الله والمعادون فيه كتب في قلوبهم الإيمان ، وقواهم بنصر منه وتأييد على عدوهم في الدنيا (١٠) .

١١- وقوله عزّوجلّ : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوْحُ إِلَيْهِ فِيْ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَة ﴾ {المعارج/٤} .

والمعنى : تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا (١١) .

١٢- وقوله جلّ شأنه : ﴿ يَوْمَ يَقُوْمُ الرُّوْحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً ﴾ {النبأ/٣٨} .

والمعنى : يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفين (١٢) .

١٣- وقوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوْحُ فِيْهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ {القدر/٤} .

والمعنى : يكثر نزول الملائكة وجبريل عليه السلام في ليلة القدر ، بإذن ربهم من كل أمر قضاه في تلك السنة (١٣) .

مما سبق يتضح لنا : أن هناك فرقاً بين : ﴿ الرُّوح ﴾ و ﴿ الرَّوح ﴾ ، وأن استعمالات ﴿ الرَّوح ﴾ في القرآن الكريم تعني :

أولاً – الرحمة : كما في قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَايْئَسُوْا مِنْ رَّوْحِ اللهِ ﴾ .

ثانياً – الرائحة الطيبة : كما في قوله عزّوجلّ : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ .

أما استعمالات كلمة ﴿ الرُّوح ﴾ في القرآن الكريم فتعني :

أولاً – جبريل عليه السلام : كما في قوله جلّ شأنه : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ ﴾ .

ثانياً – الوحي : كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوْحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ .

ثالثاً – الرُّوح – سرّ الله في خلقه – كما في قوله عزّوجلّ : ﴿ وَيَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الرُّوْحِ * قُلِ الرُّوْحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيْ ﴾ .

رابعاً – المدد والعون : كما في قوله جلّ شأنه : ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِيْ قُلُوْبِهِمُ الإِيْمَانَ * وَأَيَّدَهُمْ بِرُوْحٍ مِّنْهُ ﴾ .

---

(١) التفسير الميسر : إعداد نخبة من العلماء : ص/٢٤٦ ، ط/مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، سنة ١٤١٩هـ . (٢) المصدر السابق : ص/٥٣٧. (٣) نفس المصدر : ص/١٠٥ .
(٤) المصدر السابق : ص/١٠٩ . (٥) نفس المصدر : ص/٢٦٧ . (٦) المصدر السابق : ص/٢٧٩ .
(٧) نفس المصدر : ص/٢٩٠ . (٨) المصدر السابق : ص/٣٧٥ . (٩) نفس المصدر : ص/٤٦٨ .
(١٠) المصدر السابق : ص/٥٤٥ . (١١) نفس المصدر : ص/٥٦٨ .
(١٢) المصدر السابق : ص/٥٨٣ . (١٣) نفس المصدر : ص/٥٩٨ .

موقف المسلم في النوازل والأحداث

بقلم : الأستاذ علي بن عبد العزيز الشبل

الحمد لله وحده ؛ وصلى الله وسلم على رسوله وآله وصحبه ، وبعد :

فإنه يتأكد على المسلم الحريص على دينه المشفق على نفسه عند وقوع الفتن وتوالي المحن أن يراعي الأصول الشرعية التي أبانها دينه ليعتصم بشرع الله عند وقوعها ، وليسلم من الانزلاق في مراديها ، وهذه الأصول هي :

١- البصيرة عند وقوع الفتن بها وبحكم الشرع الشريف بها ، فإن العالم المستبصر بالفتنة ناج بها بنفسه ومنجٍ غيره ، أما الجاهل بها وبعواقبها فإنه يوشك أن يقع فيها .

ولا تتأتى البصيرة إلا بالعلم الموروث عن الله وعن رسوله ﷺ .

٢- الالتجاء إلى الله عزّوجلّ والانطراح بين يديه وسؤاله العفو والعافية حيث يتأكد على المؤمن صدق تضرع مولاه وعبادته بالسؤال والإلحاح عليه أن ينجيه من الفتن ويعصمه منها ، ولذا من دعاء الصالحين : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوْبَنَا * بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً * إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّاب ﴾ .

٣- يجب الرفق والتأني والحلم عند وقوع الفتن والتعقل فيها والحذر من العجلة في الآي الحكيم ، والحذر من الطيشان والتصرفات غير المسئولة فإنها لا تأتي إلا بالشر وبنتائج غير مسئولة : "وما كان الرفق في شئ إلا زان ، وما نزع من شئ إلا شانه" وامتدح النبي الكريم ﷺ أشج عبد القيس بخلتين هما : الحلم والأناة .

٤- مراعاة جانب السلامة للدين والعرض عند وقوع الفتنة ، ولو بالهروب منها، والقعود عنها : "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه".

ولما في الصحيح عن النبي الكريم ﷺ أنه قال : " ستكون فتن ؛ النائم خير فيها من اليقظان ، واليقظان فيها خير من النائم ، والقائم فيها خير من الساعي ، فمن وجد ملجأً أو معاذاً فليستعذ به" .

وفي صحيح مسلم من رواية أبي بكرة ﷺ نحوه وزاد : "ألا فإذا وقعت الفتن فمن كان له إبل فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه ، فقال رجل : يا رسول فمن لم يكن ذلك ، قال : يعمد إلى سيفه فيتق على حدّه بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاء ، اللهم هل بلغت دينه ..." {الحديث} .

٥- ومن الأصول المهمة التي تحكم المسلم هنا ردُّ أمر الفتنة إلى العالم بها والتبصّر بعلمهم ، وهم العلماء الراسخون في العلم ، ضليعو الديانة والحذر من أضدادهم من الجهال أو القراء أو المتعالمين وصغار السن والأحلام والسفهاء والصحفيين ، فإن مسائل الفتن والنوازل والخطوب المدمهمة ليس لها إلا الكبار علماً وعقلاً وديناً وحكمةً ؟!

٦- ومن الأصول التي يجب مراعاتها ولا سيما خلال إدلهام الفتن أهمية الاجتماع و وحدة الصف بوحدة الكلمة في جماعة واحدة تقودها قيادة راشدة من العلماء ومن ولاه الله أمر الناس ، والحذر أشد الحذر ممايعكر صفو ذلك من التفرق وشقّ الصف بالقول أو الآي أو الفعل : ﴿ وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعاً * وَّ لاَ تَفَرَّقُوْا ﴾ ، ﴿ وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً * وَأَنَا رَبُّكُمْ * فَاعْبُدُوْنِ ﴾ .

وفي الحديث عن النبي الكريم ﷺ : "يد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار" ، "والذئب إنما يأكل من الغنم القاصية" ، وقد منّ الله علينا مما فقده غيرنا من اجتماع الكلمة تحت راية شرعية معتبرة يقودها ولاة لهم في أعناق المسلمين عندنا بيعة ، ويسوسها العلماء بحكم الديانة والملة فله سبحانه الحمد في الأولى والآخرة ، ولله الحكم وإليه تُرجعون .

= ومن جهة ما نراه ونلحظه من تنوع التحليلات والشائعات والاتهامات ، وكثير منها مبالغ فيه جداً أو خارج عن معنى الحق والمصداقية فهو من أظهر وسائل الإرجاف بالمؤمنين وتخويفهم ، وتخذيلهم ، وبث الرعب والفتن والشر فيهم ، وتفريق اجتماعهم وكلمتهم وهذا كله شأنه من ضعف إيمان أو قلة حكمته وبصيرته ، وهو شأن المنافقين المرجفين قديماً وحديثاً كما

حذرنا الله منهم في كلامه القرآن آمراً لنا بضد حالهم ، كما في آية سورة النساء : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوْا بِهِ * وَلَوْ رَدُّوْهُ إِلَى الرَّسُوْلِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ * لَعَلِمَهُ الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَهُ مِنْهُمْ * وَلَوْ لاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيْلاً ﴾ ، وكان من قول المنافقين المخذلين والمرجفين بالمؤمنين في غزوة تبوك : "أتحسبون قتال بني الأصفر – أي الروم – كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟" تخويفاً وإرجافاً بالمسلمين .

= هذا وأهم ما ينفع المسلم ويعصمه عند وقوع الفتن والنوازل ذكر الله تعالى الذي به طمأنينة القلوب ، ودعاؤه سبحانه والاطراح بين يديه والإلحاح عليه وسؤاله كفاية شرها والعفو والعافية منها .

ومن ذكر الله دعاء الخوف والكرب والهم والحزن كدعوة ذي النون المكروب : يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام : ﴿ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّيْ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ ﴾ ، ودعاء الكرب : "لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله ذو العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ، رب العرش الكريم" ، ودعاء الهمّ والحزن : "يا حي يا قيوم برحمتك استغيث" وغيرها من الأدعية والأذكار النبوية النافعة في مثل هذه الخطوب .

= ومن دعاء الله الذي أمر الله به في قوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ * فَإِنِّيْ قَرِيْبٌ * أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِيْ * فَلْيَسْتَجِيْبُوْا لِيْ وَلْيُؤْمِنُوْا بِيْ * لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُوْنَ ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ أَمَّنْ يُّجِيْبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ * وَيَكْشِفُ السُّوْءَ * وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ * أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ * قَلِيْلاً مَّا تَذَكَّرُوْنَ ﴾ .

مع ملاحظة تحري أوقات الدعاء المناسبة ، ولا سيما أوقات الإجابة ، كآخر الليل ساعة التنزل الإلهي في ثلثه الأخير ، ودبر الصلوات المفروضة والنوافل ، وحال السجود ، وعند الفطر لمن كان صائماً ، وعند نزول المطر ، و وقوع الخطب والمصيبة لكمال التعلق والالتجاء إلى الله ، وعند وقوع الظلم والكرب ، نسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة ، وهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والله أعلم .

الإيثار : ضرورة إسلامية

بقلم : الأستاذ الدكتور أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

الإيثار في أبسط معانيه ، هو أن تؤثر غيرك بالشئ مع حاجتك إليه ، أي تفضل أخاك على نفسك ، وتجود عليه بما معك من مال أو أي شئ آخر مع حاجتك إليه ، وعكسه الأثرة ، ومعناها أن تؤثر نفسك على غيرك ، وتستأثر نفسك عن أخيك بما هو محتاج إليه ، أو هو استئثار صاحب الشئ به على غيره وحوزه لنفسه دون غيره .

عندما أمر المسلمون بالهجرة من مكة إلى المدينة ، هجروا مكة متسللين ، تاركين أموالهم ، نهبا لمشركي قريش ، ودخلوا المدينة ، وأكثرهم لا يملك قوت يومه ، ولما وصل الرسول الكريم ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار ، وأنزل المهاجرين على الأنصار يشاركونهم في كل ما يملكون ، يقاسمونهم القليل والكثير ، ولم تكن أموال الأنصار بالقدر التي تتسع لهم وللمهاجرين ، ولكنهم رحبوا بالمهاجرين ، وآثروهم على أنفسهم ، وهم في أشد الحاجة إلى ما يؤثرون به غيرهم ، وما فعلوا ذلك إلا استجابة لله ، وجهاداً في سبيله ، فاستحقوا بذلك قول الله تعالى وعلا فيهم : ﴿ وَالَّذِيْنَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ * يُحِبُّوْنَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ * وَ لاَ يَجِدُوْنَ فِيْ صُدُوْرِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوْتُوْا * وَ يُؤْثِرُوْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ * وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ * وَ مَنْ يُّوْقَ شُحَّ نَفْسِهِ * فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴾ {الحشر/٩} إحياءً وتخليداً لذكرى هذا الموقف الجليل من الأنصار ، فكم من موقف وكم من بطل يتذكره الناس عبر جيل أو آخر ثم تتناساه الأجيال المتتالية ، لكن مثل هذا الموقف لم ولن ينسى

أبداً عبر تاريخ الإنسانية أجمع ، لأنه قرآن يتلى ويحفظ وتتناقله الأجيال إلى يوم القيامة ، مشيداً بموقف وتضحية هؤلآء الأنصار ، وليكن لمن سبقونا ولنا ولمن بعدنا عبرة وعظة ، فهل هناك أصعب وأشد وأشق على النفس ، من أن تتنازل عن شطر ما تملك بل كل ما تملك ، وتذهب إلى أكثر من ذلك ، أن تعرض زوجاتك ليختار أخوك المسلم ما يشاء منها ليتزوجها بعد وفاء عدتها ، والتاريخ الإسلامي يحكي لنا أن مثل هذه الأمور حدثت وأكثر منها طواعية وعن طيب خاطر ونفس راضية ، فها هم المهاجرون من مكة ، تاركين أموالهم وديارهم يخرجون صفر اليدين فراراً بدينهم ، ويستقبلهم الأنصار من أهل المدينة ، بصدور رحبة ، ويتهافتون عليهم تهافت الظمآن على الشراب البارد ، ويتنافسون عليهم ، كل منهم يريد أن يحظى بواحد منهم في داره ، فلا يرضيهم إلا القرعة ، يؤاخي رسول الله ﷺ ، بينهم مؤاخاة قامت مقام أخوة النسب والدم ، وذابت الفروق الإقليمية والنسبية ، كما انمحت الفوارق الطبقية والمهنية ، ويحكى لنا عبد الرحمن بن عوف المهاجري القرشي ما حدث له قائلاً : لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع الأنصاري الخزرجي ، فقال سعد لي : إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم لك نصف مالي ، وانظر إلى أي زوجتي هويت ، نزلت لك عنها ، فإذا حلت تزوجها ، وقابل عبد الرحمن هذا الإيثار الكريم من سعد بعفاف كريم منه فقال : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلوني على السوق ، هذا هو الإيثار وكان أحد الدعائم التي قامت عليه الدولة الإسلامية في المدينة ، فلو لا إيثار الأنصار للمهاجرين على أنفسهم ، وبذلهم الغالي والنفيس في استضافتهم ، لكان حال المهاجرين رحالة من مكان إلى آخر ، ولم يستقروا بعد في مكان ، ينشئون فيه دولتهم ، وينطلقون منه ، كما حدث في المدينة المنورة .

والتاريخ الإسلامي مليئ بمثل هذا ، قالت عائشة رضي الله عنها : ما شبع رسول الله ﷺ ، ثلاثة أيام متوالية ، حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ،

ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا ، ونزل برسول الله ﷺ ضيف ، فلم يجد عند أهله شيئاً ، فدخل عليه رجل من الأنصار ، فذهب بالضيف إلى أهله ، ثم وضع بين يديه الطعام ، وأمر امرأته بإطفاء السراج ، وجعل يمد يده إلى الطعام ، كأنه يأكل ولكنه لا يأكل ، حتى أكل الضيف ، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ : "لقد عجب الله من صنيعكم إلى ضيفكم" ، ونزلت : ﴿ وَيُؤْثِرُوْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ * وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَة ﴾ ، وقال عمر ﷺ : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، رأس شاه فقال : إن أخي كان أحوج مني إليه ، فبعث به إليه ، فلم يزل واحد يبعث به إلى آخر ، حتى تداوله سبعة أبيات ، ورجع الأول ، وعن أبي الحسن الإنطاكي : إنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفساً ، وكانوا في قرية بقرب الري ، ولهم أرغفة معدودة ، لم تشبع جميعهم ، فكسروا الرغفان ، واطفأوا السراج ، وجلسوا للطعام ، فلما رفع ، فإذا الطعام بحاله ، ولم يأكل أحد منه شيئاً ، إيثاراً لصاحبه على نفسه ، وقال حذيفة العدوي : انطلقت يوم اليرموك ، اطلب ابن عم لي ، ومعي شئ من ماء ، وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته ، ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به فقلت : أسقيك : فأشار إلي نعم ، فإذا برجل يقول : آه ... فأشار بن عمي ، أن انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت : أسقيك ؟ فسمع به آخر ، فقال : آه ... فأشار هشام انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات ، رحمة الله عليهم أجمعين ، وقال عباس بن دهقان : ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها ، إلا بشر بن الحرث ، فإنه آتاه رجل في مرضه ، فشكا إليه الحاجة ، فنزع قميصه وأعطاه إياه ، واستعار ثوباً فمات فيه ، هذا أبو دجانة ، يؤثر النبي الكريم ﷺ ، بروحه في غزوة أحد ، حينما كان يرى السهام ، تأتي إلى النبي الكريم ﷺ من كل مكان ، فأخذ النبي في حضنه وينام فوقه ، فرآه هكذا سيدنا أبو بكر الصديق ، وقال : نظرت إلى ظهر أبي دجانة ، فإذا ظهره

كالقنفذ من السهام ، وهذا نوع آخر من الإيثار ، إنه الإيثار لله بالأرواح ، تملأ جسده السهام ، ويجرح ويكاد يقتل ، حباً للنبي الكريم ﷺ ، وإيثاراً له !.

ويقذف النبي الكريم ﷺ ، بسهم من السهام ، فيراه طلحة فيضع يده ، حتى لا يصل السهم ، للنبي الكريم ﷺ ، فيخترق السهم هذه اليد الطاهرة وتشل ، حينما طعن أبو لؤلؤة المجوسي ، سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ، وسقط مضرجاً بدمائه ، وعلم عمر أنه الموت قال لابنه : يا عبد الله ، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة ، وقل لها : عمر بن الخطاب ، ولا تقل أمير المؤمنين ، فلم أعد لكم أميراً ، يستأذنك أن يدفن مع صاحبيه "رسول الله ﷺ ، وأبي بكر الصديق ﷺ" ، فقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : كنت أريد هذا المكان لنفسي ، ولأوثرن به عمر ، ومع ذلك آثرت عمر على نفسها ودفنت في البقيع ، والإيثار لم يكن من جانب الإنسان لأخيه الإنسان ، بل يصل للحيوان أيضاً ، خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له ، فنزل على نخيل قوم ، وفيه غلام أسود ، يعمل فيه ، إذ أتى بقوته ، فدخل الحائط كلب ، ودنا من الغلام ، فرمى إليه الغلام بقرص ، فأكله ، ثم رمى إليه الثاني والثالث ، فأكلهما ، وعبد الله ينظر إليه فقال : يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت ، قال : فلم آثرت به هذا الكلب ؟ قال : ما هي بأرض كلاب ، وإنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً ، فكرهت أن أشبع وهو جائع ، فقال : فما أنت صانع اليوم ؟ قال : اطوي يومي هذا ، فقال عبد الله بن جعفر : إلام على السخاء ! إن هذا الغلام لأسخى مني ، فاشترى الحائط والغلام ، وما فيه من الآلات ، فاعتق الغلام و وهبه منه ، قال سهل بن عبد الله التستري ، قال موسى عليه السلام : يا رب أرني بعض درجات ، محمد ﷺ وأمته ، فقال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ، ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي ، قال فكشف له عن ملكوت السماوات ، فنظر إلى منزله ، كادت تتلف نفسها من أنوارها وقربها من الله تعالى ، فقال : يا رب بماذا

بلغت به إلى هذه الكرامة ؟ قال بخلق اختصصته به من بينهم ، وهو الإيثار ، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره ، إلا استحييت من محاسبته ، وبوأته من جنتي حيث يشاء .

إن في الإيثار بركة ، فهو جالب للبركة في الطعام والمال والممتلكات والرزق عموماً ، فإذا شعرت أن ما معك قليل فآثر غيرك يكثر إن شاء الله ، يقول أبو هريرة ﷺ : كنت أجوع جوعاً شديداً ، فكنت أجلس بجوار منبر النبي الكريم ﷺ ، يمر بي الرجل من المسلمين ، أستقرؤه آيات الإنفاق ، حتى يلين قلبه ويشعر بي فينفق ويعطيني ، فمر بي أبوبكر فقرأها علي ومرّ ، ولم يعرني اهتماماً ، وقرأها عمر ومر أيضاً ، فمر النبي الكريم ﷺ فنظر إلي فعرف حالي فتبسم وقال : "يا أبا هريرة الحق بي" فدخل ﷺ بيته واستأذن ، وقال لزوجته : "هل عندنا من شئ ؟" قالت : جرة لبن تكفي رجلاً أو رجلين ، فقال لي النبي الكريم ﷺ : "يا أبا هريرة ! اذهب وائتني بأهل الصفة" وهم فقراء المسلمين وعددهم حوالي ١٠٠/فرد" فاغتمت نفسي وأصبحت مهموماً ، وقلت وأين هذه الجرة من أهل الصفة ؟ ولكن لابد من طاعة رسول الله ﷺ ، فذهبت وأتيت بهم ، فنظر إلي النبي مبتسماً وقال لي : "اسقهم" فأخذت الجرة أمر بها على الرجل يشرب حتى يرتوي ، أقول : ما بقي شئ ، فيأخذها الثاني ، فيشرب حتى يرتوي حتى شربوا جميعاً ، والنبي الكريم ﷺ ينظر إلي وهو يبتسم ، وقال : "يا أبا هريرة لم يبق إلا أنا وأنت" قلت : صدقت يا رسول الله ﷺ ، قال ﷺ : "اشرب يا أبا هريرة" فشربت ثم أعطيتها له فقال : "اشرب يا أبا هريرة" فشربت ثم أعطيتها له فقال : "اشرب يا أبا هريرة" فشربت فما زال يقول لي : "اشرب ، اشرب" حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً ، فأخذها النبي الكريم ﷺ ، فشرب الفضلة {رواه البخاري والترمذي} .

ويحكي لنا التاريخ الإسلامي أيضاً ، أن الصحابة رضوان الله عليهم ، قد

مكثوا خمسة عشر يوماً ، يحفرون الخندق ، ومن شدة الجوع ، ربطوا على بطونهم الحجارة ، فجاء جابر بن عبد الله ، وقال للنبي الكريم ﷺ : يا رسول الله عندنا في البيت دجاجة ، وبقية شعير ، فأقدم يا رسول الله وكل معي ، فنظر إليه النبي الكريم ﷺ ، وقال له : "لوحدي ؟" فقال جابر : ومعك رجل أو رجلان ، فوقف النبي الكريم ﷺ ، وقال : "يا معشرة المهاجرين ، يا معشر الأنصار ،غداؤنا اليوم عند جابر بن عبد الله" ، يقول جابر : فتسللت سريعاً إلى البيت ؛ أقول لزوجتي : انجديني رسول الله قادم ومعه الجيش ، فقالت المرأة المسلمة المؤمنة : أو أخبرت رسول الله بالطعام ؟ قال : نعم ، قالت : فالله ورسوله أعلم ، فذهب رسول الله ﷺ إلى جابر ، فقال رسول الله ﷺ : "يا جابر أنت بوابنا اليوم" ، وهيأ النبي الكريم ﷺ الخبز ، وأخذ جابر يدخل عليه عشرة ، عشرة ، يطعمهم ثم يخرجون ، و هكذا من بعدهم ، فطعم الجيش كله ، ثم دخل جابر ، يقول : كلما خرجت مجموعة ، أقول : لن يأكل الذين بعدهم ، فيخرجون وقد امتلأت البطون ، يخللون أسنانهم ، يقول جابر : فقال لي النبي الكريم ﷺ : "يا جابر بارك الله لك ولأهل بيتك في طعامك" {رواه البخاري ومسلم} .

والإيثار يقود المرء إلى غيره من الأخلاق الحسنة ، والخلال الحميدة ، كالرحمة وحب الغير والسعي لنفع الناس ، كما أنه يقوده إلى ترك جملة من الأخلاق السيئة ، والخلال الذميمة ، كالبخل وحب النفس والأثرة والطمع وغير ذلك ، كما أن المؤثر ، يجني ثمار إيثاره ،في الدنيا قبل الآخرة ، وذلك بمحبة الناس له وثنائهم عليه ، كما أنه يجني ثمار إيثاره ، بعد موته أيضاً ، بحسن الأحدوثة وجمال الذكر ، فيكون بذلك قد أضاف عمراً إلى عمره ، مع ما يجلبه الإيثار من فيضان الخير على المؤثر ، فيعود عليه إيثاره أفضل مما بذله ، فهو يعلم عن يقين أن ما يقدمه اليوم يجده غداً ، هو خيراً وأعظم أجراً ، فهو دوما يتدبر كتاب الله تعالى ، فتقع عينه ، ويتأثر قلبه ، بمثل آيات سورتي

المزمل وفاطر ، قال تعالى : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوْا لأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوْهُ عِنْدَ اللهِ * هُوَ خَيْراً وَّأَعْظَمَ أَجْراً ﴾ {المزمل/٢٠} ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ يَتْلُوْنَ كِتَابَ اللهِ * وَأَقَامُوْا الصَّلاَةَ * وَأَنْفَقُوْا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَّعَلاَنِيَةً يَّرْجُوْنَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُوْرَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُوْرَهُمْ وَيَزِيْدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ * إِنَّهُ غَفُوْرٌ شَكُوْرٌ ﴾ {فاطر/٢٩-٣٠} فيحتقر الدنيا ويزدريها ، ويصطفي الآخرة ويختارها ، ويقبل على الله عزّوجلّ ، فيؤثر رضاه سبحانه وتعالى ، على رضا غيره ، كما أن الإيثار دليل على تحقيق الكمال الإيماني ، وثمرة من ثماره ، فقد قال المصطفى ﷺ : "لا يؤمن أحدكم حتى لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه" والنفي هنا لا يقصد به نفي الأصل ، وإنما نفي الكمال ، كما هو مقرر عند أهل العلم ، وعليه يفهم من الحديث أن من أحب لأخيه ما يحب لنفسه تحقق فيه الإيمان الكامل ، والإيثار مرضاة للخالق سبحانه وتعالى ، سبب في دخول الجنة والنجاة من النار ، والإيثار طريق إلى محبة الله تبارك وتعالى ، ودخول المؤثرين فيمن أثنى الله عليهم من أهل الإيثار ، وجعلهم من المفلحين ، فقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الصحابة رضي الله عنهم به فقال : ﴿ وَيُؤْثِرُوْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ * وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وبالإيثار تحصل الكفاية الاقتصادية والمادية في المجتمع ، فطعام الواحد يكفي الاثنين ، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة ، والبيت الكبير الذي تستأثر به أسرة واحدة مع سعته ، يكفي أكثر من أسرة ليس لها بيوت تؤويها وهكذا ، و وجود الإيثار في المجتمع ، دليل على وجود حس التعاون والتكافل والمودة ، وشيوع المحبة بين العباد ، وفقده من المجتمع دليل على خلوه من هذه الركائز المهمة ، في بناء مجتمعات مؤمنة قوية ومتكاتفة ، ومن أعظم ثمار الإيثار وفوائده هو أن التحلي بخلق الإيثار فيه اقتداء بالحبيب محمد ﷺ .

والإيثار هذا ليس بصفة أخلاقية توجد في فرد دون آخر ، أو نزوة تظهر

وقت الحماس وتنطفي بعد ذلك ، ولكنه يجب أن يكون واجباً إسلامياً ، نرتكز عليه عند تربيتنا لأبنائنا ، ليكون دائماً وأبداً أحد أهم دعائمنا لاجتياز أي مشاكل اقتصادية أو مادية ، ولكن لماذا يجب على المؤمن التحلي بالإيثار ؟ لأنه خلق تحلى به جميع الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلوات والتسليم ، والأمثلة على ذلك كثيرة وتحتاج إلى مجلدات ، ونبينا الكريم عليه أفضل الصلوات والسلام ، كان كل همه وعزمه مقصوراً على إيثار مرضاة الله فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، حتى أتاه اليقين ، فلم ينل أحد من درجة هذا الإيثار ما ناله ، ولأن الإيثار يكسب صاحبه رفعة ومنزلة ومحبة في الدنيا والآخرة ، فهو يعلم عن يقين أن ما يقدمه اليوم يجده غداً ، عند الله خيراً وأعظم أجراً ، قال تعالى في سورة المزمل/٢٠ : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوْا لأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوْهُ عِنْدَ اللهِ * هُوَ خَيْراً وَّأَعْظَمَ أَجْراً * وَاسْتَغْفِرُوْا اللهَ * إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴾ وكما أن الإيثار هو أعلى درجات السخاء والجود ، فلا يكون إيثار الغير بالنفس والمال ، وبذلهما له ، مع الحاجة إليهما ، إلا من قلب زكي نقي سخي تقي ، يكون يوم الدين من المفلحين ، قال تعالى في سورة الحشر/٩ : ﴿ وَمَنْ يُّوْقَ شُحَّ نَفْسِهِ * فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴾ ولأنه علامة الإيمان الصادق تجاه الآخرين ، حيث التضحية والبذل والعطاء ، من أجل الله تعالى ، والبعد عن البخل ، الذي هو ثمرة الشح ، وأساس الظلم والحسد ، والانحراف ، وقد حذرنا رسول الله ﷺ ، من الشح الذي يصاحبه نقص العمل الصالح ، وكثرة القتل ، فقال عن أبي هريرة : "يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح ويكثر الهرج" قالوا : وما الهرج ؟ قال : "القتل القتل" {رواه البخاري} ، ولأنه سلوك يدل على كرم النفس ، وحسن الوفاء ، ودعم للأخوة في الله ، وأسمى درجات الصداقة ، والتي قل فيها الإيثار في زمننا هذا .

***

دراسات و أبحاث:

التشبيه في شعر ذي الرمة

بقلم : الدكتور محمد مظهر عالم الندوي

يتضح للمتصفح عن أشعار ذي الرمة أن التشبيه هو مطلب من مطالبه وغاية من غاياته الكبرى ومقوم أساسي لصناعته الفنية وقاعدة أساسية يقوم عليها البناء الفني لشعره ، فيه تتركز براعته الصناعية الفائقة ، يقول الأصمعي : "كان ذو الرمة أشعر الناس إذ شبه" (١) ، ويقول ابن سلام : "كان لذي الرمة حظ في حسن التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين" (٢) ، ويعده ابن قتيبة : "أحسن الناس تشبيهاً" (٣) ، ويقول حماد الراوية : "أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس ، وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيهاً" (٤) ، وينقل السيوطي عن مصادره : وقالت طائفة : "الشعراء ثلاثة : جاهلي وإسلامي ومولد ؛ فالجاهلي امرؤ القيس ، وإسلامي ذو الرمة ، ومولد ابن معتز ، وهذا قول من يفضل البديع وخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر" (٥) .

ولا شك في أن هؤلآء الثلاثة يتفقون في العناية بالتشبيه ، ولكنهم يختلفون في طريقة استخدامه اختلافاً جوهرياً ، يرجع أساسياً إلى العصور التي عاشوا فيها ، فالتشبيه عند امرئ القيس فيه بساطة البداية ، وعند ابن معتز يصل إلى العصور الزخرفية الصناعية المطبوعة بطابع التكلف والافتعال ، وعند ذي الرمة يقف في منتصف الطريق ، تشبيه ذي الرمة صورة صادقة للطبيعة التي عاش فيها أو اتصل بها ، فيه بساطة البداية والعناية الشديدة البالغة ، ولكنها لا تصل إلى درجة التكلف والافتعال .

يعتمد ذو الرمة على التشبيه التمثيلي من صور التشبيه المختلفة ، يخرج

صورة في أوضاع يريدها لها ، ويبث فيها أحاسيسه ومشاعره وانفعالاته وفتنة الطاغية بالطبيعة ، يشتق أكثر أصباغ تشبيهه من الصحراء الحية والجامدة ، ويستخدم هذه الألوان أحياناً بسيطة كما يراها في الطبيعة ، ويلون منها أحياناً أخرى ألواناً مركبة كما يشاء له خياله وفنه ، وتبرز الإبل من أصباغ المشتقة من الصحراء الحية مادة أساسية يعتمد عليها الشاعر في تلوين كثير من صوره ، يبدو له سهيل حين يلوح في وقت السحر معارضاً سائر النجوم كفحل أبيض من فحول نافرة من إناثها ، فهو يعارضها ولا يتبعها :

و قد لاح للسارى سهيل كأنه
قريع هجان عارض الشول حافر (٦)

وتتراءى له قطعان النعام المتفرقة فوق المرتفعات في اختلاط سوادها ببياضها كإبل جرب طليت ثم تركت مهملة بدون راع :

بها رفض من كل خرجاء صعلة
و أخرج يمشي مثل مشى المخبّل
على كل خرباء رعيل كأنه
حمولةُ طال بالعنية مهمل (٧)

ومن الأصباغ المشتقة من مظاهر البيئة الصحراوية يبرز لونان يعتمد عليهما الشاعر اعتماداً كثيراً في تشبيهاته ، أحدهما أشجار الصحراء الضخمة العالية التي يشبه بها الإبل والظعائن :

كأن أظعان مي إذا رفعن لنا
بواسقُ النخل من يبرين أو هجرا (٨)

والآخر كتبان الرمال التي يشبه بها جسد صاحبته :

كأن بين القرط و الخلخال
منها نقاء نطق بالرمال (٩)

وكذلك يشتق الشاعر أصباغ تشبيهه مما رآه في زيارته المتعددة لمدن

عراق وفارس والشام والهند ، وأطرف صورة رسمها ذو الرمة مستغلاً الألوان الحضارية تلك الصورة التي يشبه فيها حركة الناقة بذنبها ، حين تتجه به ذات اليمين وذات اليسار ، بحركة مروحة ، نسقت من ريش متعدد الألوان أخذ من ذيلي طاؤوسين جميلين ، تحركها في دلال وخفة عذراء جميلة من بنات فارس ، ترفل في ثيابها الأنيقة لتذب البعوض عن ملك فارسي مترف :

طوت لقحا مثل السرار فبشّرت
بأسحم ريّان العسيبة مسبل
إذا هي لم تعسر به ذبّبت به
تحاكي به سدو النّجاء الهمرجل
بأذناب طاؤوسين ضمّت عليها ...
... جميعاً، وقامت في بقيد ومرفل (١٠)

ربط ذو الرمة في تشبيهه بين حياة البادية وحياة الحاضرة ، على ما بينهما من تباعد متباين ، يبدو له الأطلال كالتماثيل ، ورياض الصحراء كالبسط الفارسية ، وحجارتها الخشنة كالحشايا الناعمة ، وأصواتها الغامضة المبهمة كتراتيل النصارى ، والحمر الوحشية كعصى الرهبان ، وصياح القطا كتراطن الأنباط ، والثيران الوحشية كملوك الفرس ، والحرباء كشيوخ الهند ، والنعام كالزنوج ، والصحراء كالبحر ، وقوافل الإبل كالسفن :

كأن مطايانا بكل مفازة
قراقير في صحراء دجلة تسبح (١١)

لا يربط الشاعر في تشبيهاته بين البداوة والحضارة فحسب بل يربط بين مظاهر الطبيعة المختلفة ، الطبيعة كلها باديتها وحاضرتها ، وصحرائها ومدنها في مخيلته الخصبة النادرة واحدة لا تتجزأ ، يرى الشاعر الصحراء كالسماء إذ يقول :

كأن بلادهن سماء ليل
تكشف عن كواكبها الغيوم (١٢)

وكذلك يرى الشاعر السماء كالصحراء ، ومجرى الظلام كمجرى الضياء ، والكواكب والنجوم كالبقر والظباء ، ليس عنده أي فرق بين السماء والأرض وبين النور والظلام ، وبين الأنهار والجبال ، وبين المياه والرمال ، حتى تذوب الفوارق عنده بين الحيوان والإنسان ، فالنساء الجميلات يظهرن له تارة كالقطا في حركتهن الرشيقة وتارة كالنوق الفتية في جمالهن :

قصار الخُطى يمشين هَونا كأنه
دبيب القطا بل هن في الوعث أوجل (١٣)
و في الجيرة الغادين من غير بغضة
مباهيج أمثال الهجان البوائك (١٤)

يبرز عنصر المفاجأة في تشبيهات ذي الرمة بسبب هذا الإحساس بوحدة الطبيعة وذوبان الفوارق بين العناصر المتباعدة :

و رأس كقبر المرء من قوم تبع
غلاظ أعاليه سهول أسافله
كأن من الديباج جلدة رأسه
إذا أسفرت أغباش ليل يماطله (١٥)

(١-٢) الأغاني :٢٢٣/١٦ . (٣) الشعر والشعراء : ٤٤٦/٢ .
(٤) الأغاني : ٢٢٣/١٦ . (٥) المزهر : ٣٠١/٢ .
(٦) ذو الرمة – غيلان بن عقبة ، ديوانه ، تحقيق مطيع بيلي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٤م ، القصيدة/٣٢ ، البيت/١٥ : ص/٣٣٠ .
(٧) الديوان ، القصيدة/٦٧ ، البيتان/٦٥-٦٦ : ص/٦٠١-٦٠٢ .
(٨) الديوان ، القصيدة/٢٥ ، البيت/٢٣ : ص/٢٦٤ .
(٩) الديوان ، الأجوزة/٦٣ ، البيتان/٣٥-٣٦ : ص/٥٦٥ .
(١٠) الديوان ، القصيدة/٦٧ ، الأبيات/٤٣-٤٦ : ص/٥٩٦ .
(١١) الديوان ، القصيدة/١٠ ، البيت/٦١ : ص/١٢٧ .
(١٢) الديوان ، القصيدة/٢٦ ، البيت/٤ : ص/٦٧٠ .
(١٣) الديوان ، القصيدة/٧٠ ، البيت/٤٨ : ص/٦٤١ .
(١٤) الديوان ، القصيدة/٥٥ ، البيت/١٨ : ص/٥٠٥ .
(١٥) الديوان ، القصيدة/٦٣ ، البيتان/٢٣-٢٤ : ص/٥٥٧ .

التصورات الجغرافية الإسلامية

دراسة مقارنة بين الأحاديث والجغرافية والجيولوجيا

بقلم : فضيلة الأستاذ أنيس الرحمن الندوي
الأمين العام ، الإكاديمية الفرقانية الوقفية ، بنغلور – الهند

ما هي نسبة البرّ (الجزء اليابس) والبحر على وجه الأرض ؟ لا نجد صورة واضحة في المنشورات والآثار الجغرافية للعصر القديم (ما قبل الإسلام) في هذا الموضوع ، إن النظرية التي كانت سائدة في اليونان ونالت قبولاً عاماً لديهم في علم الأرض هي : أن الأرض ليست كروية الشكل ومستديرة ، بل هي منبسطة وعريضة ، ومن ثم فإن هذه النظرية كانت سائدة في أوربا إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، إن العالم الفلكي الهندي (آريا باتا Aryabhatta) قام بتقديم نظرية في القرن الخامس المسيحي بأن الأرض كروية مستديرة ، وإن معدل البر والبحر على وجه الأرض حسب ظنه هو النصف (١) ولا يغيب عن الأذهان في هذا الموضع بأن الأرض لم تكتشف كاملاً في ذلك العصر ، ولم يتم العثور على خصائصها الجغرافية نوعاً وكيفاً على سبيل الاستيعاب والكمال ، ومن هنا فإن جميع الآراء والأقوال في هذا الموضوع تعتبر من قبيل الظن والتخمين .

معدل البر والبحر على الكرة الأرضية :

إن بعض الأحاديث التي وردت في هذا الموضوع تشتمل على المعلومات الفنية الدقيقة عن الكرة الأرضية وجغرافيتها ، إن كانت معاني هذه الأحاديث

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية الأردية ، المجلد/٧ ، الصفحة/٢٨١ ، جامعة بنجاب – باكستان .

الفنية الدقيقة عن الكرة الأرضية وجغرافيتها ، وإن كانت معاني هذه الأحاديث تتعارض في الظاهر مع حقائق الجغرافية ، ولكن يبرهن صدق هذه الأحاديث حرفياً بالدراسة التطبيقية العميقة لعلم الجغرافيا والاكتشافات الحديثة فيه ، ليس هذا فحسب ، بل يظهر منها كذلك بعض الجوانب المهمة لتاريخ الأرض الجيولوجي إعجازياً ، فمن هذه الأحاديث رواية أبي الشيخ بن حيان (م٣٦٩هـ) التي أخرجها عن حسان بن عطية وهي كما يلي :

عن أبي الشيخ عن حسان بن عطية قال : "بلغني أن مسيرة الأرض خمسمائة سنة بحورها منها ثلاثمائة سنة والخراب منها مسيرة مائة سنة والعمران مسيرة مائة سنة" (٢) .

والرواية الأخرى لهذا المعنى كالتالي :

أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن حسان بن عطية ﷺ قال : "سعة الأرض مسيرة خمسمائة سنة ، البحار ثلاثمائة ومائة خراب ومائة عمران"(٣).

وإن هناك حديثاً آخر ورد في هذا الشأن يختلف قليلاً عن الروايتين السابقتين في معناه وهو كالتالي :

أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو قال : "الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، أربعمائة خراب ومائة عمران" (٤) .

إن كلمة (مسيرة) استخدمت في هذه الأحاديث للدلالة على نسبة ومعدل مساحة الأرض كما يتجلى من الروايات المذكورة أعلاه ؛ ومن هنا فإن الحديثين الأولين يدلان على أن معدل البحر على الكرة الأرضية يمثل ٣/٥

(٢) العظمة – أبو الشيخ بن حيان : ج/٤ ، ص/١٤١٢ ، الهيئة السنية – جلال الدين السيوطي : ص/٤٧ ، كتاب في الهيئة : ص/٦٧ .

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور – جلال الدين السيوطي : ج/٤ ، ص/٤٢ ، دار المعرفة – بيروت .

(٤) المرجع السابق ، فتح القدير – الشوكاني : ج/٣ ، ص/٦٦ ، دار الفكر – بيروت .

من مساحتها الكاملة ، على أن ما تبقى منها فإنه يشتمل على البر ويمثل ٢/٥، فإن نصفها – أي نصف البر – ١/٥ خراب والنصف الآخر منها عمران ، وكذلك يدل الحديث الثالث على أن ٤/٥ من الكرة الأرضية خراب و ١/٥ عمران .

تعال أيها القارئ الكريم معي إلى معرفة الأهمية العلمية لهذه الأحاديث المباركة في ضوء الدراسات والتصورات الجغرافية الحديثة ، وفي البداية نقوم بدراسة الحديث الأول ، فإن العلماء يقولون حسب الدراسة الحديثة : إن معدل البحار يمثل ٧٠,٨ في المائة بينما معدل البر يمثل ٢٩،٢ في المائة ، فمن هنا يمكن أن نقول : إن الماء يمثل سبعين في المائة على الكرة الأرضية بينما البر يمثل ثلاثين في المائة على وجه التقريب وفق آرائهم .

يبدو في الظاهر أن هناك تعارضاً وتبايناً بين الأحاديث الشريفة والاكتشافات الحديثة لعلم الجيولوجيا وعلم الجغرافيا، لأن الأحاديث تدل على أن معدل الماء واليابسة يقوم على ٣:٢ ، على أن علم الجغرافيا يدل على أن معدلهما يقوم على ٧:٣ ، ولكن الحقيقة هي أن كلا منهما صحيحة في موضعه ، ذلك لأن الإحصائيات الجغرافية تخبر عن المعدل الحالي للماء واليابسة ، بينما الأحاديث تدل على الحدود الحقيقية لهما ، ولفهم هذه الدراسة جيداً يجب علينا أن نراعي بعض المباحث لعلم المحيطات oceanography وهي على ما يأتي :

الحواف القارية :

إن نسبة البر والبحر الحالية لا تدل على الحدود الحقيقية للبحر والبر وفق الدراسات العلمية الحديثة ، لأن الجزء الكبير للبر غائصة اليوم في البحر لأسباب عديدة ، راجع الصفحات القادمة لهذا البحث لمعرفة الدراسة ذات الصلة ، وإن هذا الجزء الغائص من البر في البحر يسمى الحافة القارية Continental Margins ، ويقسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام :

١- الرصيف القاري Continental Shelf

٢- المنحدر القاري Continental Slope

٣- الارتفاع القاري Continental Rise

الرصيف القاري :

إن الرصيف القاري يدل في الواقع على الحدود الحقيقية لأرضية القارات الحالية ، أي إنه يدل على الأجزاء التي غرقت في البحر من القارات ، يبدأ في نهاية هذا الجزء الانحدار في الأرض القاري مثل الخندق ، وإنه أعرض من ساحل (شاطئ) البحر الحالي بمعدل خمسين (٥٠) إلى مائة كيلومتر (٣٠-٦٠/ميلاً) تقريباً ، وإن عرضه يبلغ في بعض الأماكن إلى ألف وخمسمائة كيلومتر ، وإن عمقه من ساحل البحر إلى حافته الخارجية Outer Edge يقدر بـ ١٣٠/متر (٤٢٥/قدم) على وجه العموم ، إن الرصيف القاري يحيط ب، ٧,٥ في المائة من مجموع المساحة لقاع البحر (٥) Sea Floor ، وفي عبارة أخرى يمكن أن نقول : إن ٧,٥ من مجموع البحر الحالي (الذي يقدر بمعدل ٧٠,٨ في المائة من مجموع مساحة الأرض) يشتمل على الرصيف القاري (انظر شكل رقم/١و٢) في آخر هذا المقال .

المنحدر القاري :

إن النقطة النهائية للرصيف القاري يعرف بـ (كسار الرصيف Shelf Break) ، فمن هنا يزداد العمق في البحر فجأة ، وإن انحناء المنحدر في هذا المكان يضعف بعشر مرة من الانحناء في الرصيف القاري ، وإن هذا الجزء من الحواف القارية يسمى بـ المنحدر القاري ، وكأنه الجدران القارية التي تحمل الرصيف القاري فوقها ، وإن المنحدر القاري يحيط بـ ٨,٥ في المائة من مجموع مساحة البحر الحالية (٦) .

(٥-٦) Oceanography: Inagmanson & Wallace,p.83

الارتفاع القـاري :

إن الجزء الثالث من الحواف القارية هو الارتفاع القاري ، وإنه لسلسلة أخيرة بين أرضية البحار وأرضية القارات ، وإن هذا الارتفاع القاري يحـيط بثلاثة في المائة من مجموع المساحة للقاع البحري الحالي ، ولكنه يختلف عـن الرصيف القاري والمنحدر القاري بحيث يقع الرصيف القاري والمنحدر القاري كلاهما على قشرة الأرض القارية Continental Crust بينما يقع الجزء الأكبر من الارتفاع القاري على قشرة الأرض المحيطية Oceanic Crust ، وفي عبارة أخرى يبدأ الجزء الأكبر من الارتفاع القاري بالقاع البحري ، ومن هنا فإن الارتفاع القاري يعد الجزء البحري في الحقيقة ، وهو في شكل الرسـوبيات الأرضـية Sediments أصلاً ، وإنه تراكم على سطح البحر بعد عملية التآكل على أرضية القارات (انظر شكل رقم/١) .

وإذا كان الرصيف القاري والمنحدر القاري هما اللذان يعـدان الجـزء القاري ، وإن مساحتهما تتكون ١٦/في المائة من مجمـوع مـساحة القـاع البحري الحالي ومعادلتها الرياضية هـي (١٦=٨,٥+٧,٥) وبالتـالي فـإن مساحتها تتشكل ١١,٣ في المائة من مجموعة المساحة الأرضية ، وإن معادلتها الرياضية كالتالي : ١١,٣٢=١٠٠/ (٧٠,٨×١٦) .

وإذا أضفنا هذه النسبة إلى نسبة اليابسة المتواجدة حالياً علـى الكـرة الأرضية فتصبح النتيجة كما في النموذج التالي : ٤٠,٥=١١,٣+٢٩,٢ .

وبالتالي وصلنا إلى أن مجموع نسبة اليابسة على الكرة الأرضـية ٤٠,٥ في المائة ، وإن ٢٩,٢ في المائة منها تقع فوق سطح البحر بينما ١١,٣ في المائة منها غائصة في البحر ، إذا نقصنا الآن نسبة اليابسة الغائصة في الماء من نـسبة الجزء البحري الحالي (لأن اليابسة الغائصة في البحر أيضاً تعد من الجزء البحري الحالي) فتصير نسبة الحوض البحري Ocean Basin الحقيقي كما في النمـوذج الآتي : ٥٩,٥=١١,٣-٧٠,٨ في آخر المقال .

فمن هنا فإن المساحة الحقيقية لليابسة على وجه الأرض أصـبحت الآن ٤٠,٥ في المائة من مجموعها الكامل ، وإن معدلها يقدر بـ ٢/٥ تقريباً ، وإن مساحة الجزء البحري ٥٩,٥ في المائة من مساحتها الكاملة ، وإن معدلها يقدر بـ ٣/٥ تقريباً ، ومن ثم فإن هذا المعدل يوافق تماماً بالنسبة الواردة في الحديث الشريف المذكور لليابسة والبحر ، والتي تقدر بـ ٣:٢ ، راجـع تفاصـيلها الأخرى في السطور الآتية تحت لفظة : العمران ، والخراب .

الحدود الحقيقية لليابسة وعوامل التقلبات في البحر :

ولما كان سطح البحر واقعاً تحت سطحه الحالي في تاريخ الكرة الأرضية الغابر ، فكان الجزء الأكبر للقاع البحري (الذي هو غائص الآن في الماء) بارزاً فوق سطح البحر ، إن من أهم العوامل للتقلبات والتفاوتات في سطح البحـر هو : التجليد القاري Continental Glaciation ، أي فإنه كلما كانـت درجـة الحرارة للكرة الأرضية منخفضة في الماضي لفترات طويلة ففي ذلـك الوقـت كان ماء البحر يغطي معظم الرصيف القاري في شـكل الـصخور الجليديـة Glaciers والطبقات الجليدية Ice Sheets ، وبالتالي فإن سطح البحر كان أسفل بكثير من سطحه الحالي من أجل ذلك :

Continental glaciation has been a major cause of sea level fluctuations, creating a rise and fall of 130m (425ft) from present-day sea level (7).

"إن التجليد القاري كان عاملاً رئيسياً في تقلبات مستوى سطح البحر ، مما تسبب إلى زيادة ونقصان سطحه في حدود ١٣٠/متر (٤٢٥/قدم) من سطحه الحالي" .

(٧) المرجع السابق : ص/٨٦ .

ومن هنا فإن المساحة القارية كانت أكبر من مساحتها الحالية بالأرباع عندما كان سطح البحر أسفل في الماضي (٨) ، وإن الكرة الأرضية مرت كذلك ببعض الفترات والعصور (نحو الفترة الطباشيرية Cretaceous Period) التي كانت قد غرق أثناءها أربعون في المائة من القارات الموجودة اليوم في الماء بسبب ارتفاع سطح البحر نتيجة لذوبان الصفائح الجليدية للأرض على وجه كبير، و إن الفترات التي كان سطح البحر انخفض فيها جداً من تاريخ الكرة الأرضية بسبب تجمد الجليد على القارات تسمى بـ العصور الجليدية Glacial Periods/ice ages ، وإن الفترات الحارة التي ارتفع فيها سطح البحر بسبب ذوبان الصفائح الجليدية للقارات تسمى بـ الفترات بين العصور الجليدية Interglacial Periods ، إن الكرة الأرضية مرت بمثل هذه الفترات فينة بعد فينة في تاريخها الطويل (٩) ، من هنا فإن الحديث الشريف المذكور بالإضافة إلى تعيين الحدود الحقيقية للبر والبحر ، يشير أيضاً بدقة إشارة لطيفة وخفيفة إلى هذه الفترات الجليدية التي مرت بها الكرة الأرضية في تاريخها الطويل ، وإلى التقلبات التي حدثت في سطح البحر بسبب وقوعها وانقضائها ، ومن هنا فإن الحديث الشريف يشتمل على إشارة خفيفة إلى الأمرين كليهما بأسلوب صاف رقيق .

العمران والخراب على البر :

إن الحديث النبوي الكريم المذكور أعلاه يتحدث أيضاً عن نسبة العمران والخراب ويخبر عن نسبة العمران والخراب على البر بعد بيانه لمعدل البحر والبر (٢:٣) على الكرة الأرضية ، ويقول : إن العمران هو : ١/٥

(٨) المرجع السابق : ص/٨٦ .

(٩) انظر لدراسة أسباب العصور الجليدية كتاب المؤلف : التبدل المناخي والقيامة : دراسة مقارنة بين القرآن والحديث وعلم الجيولوجيا (المجلد الثاني) .

والخراب هو : ١/٥ ، وبالتالي فقد عرفنا أن نصف البر عمران والنصف الآخر خراب ، إن هذا التوزيع الوارد في الحديث الشريف للمناطق اليابسة من الكرة الأرضية يحتل مكانة بارزة في هذا الصدد ، وإن الدراسات الجغرافية والجيولوجية الحديثة تصدق على حكم وأسرار المعاني والمطالب المذكورة في الحديث الشريف ، وإليكم بيانها بالتفصيل على النحو التالي :

يجب علينا أولاً أن نفهم معاني كلمة العمران والخراب لغوياً ، إن العمارة نقيض الخراب ، إن لفظة (عمران) مشتقة من عمر يعمر عمراً ، وإنها تستخدم للدلالة على وجود الحياة في شئ ما ، وإن اللفظ المشتق منه (العمر) ، وهو اسم لمدة عمارة البدن بالحياة (١٠) ، أي فترة بقاء الروح في الجسم وإعمارها ، وإن كلمة العمران تطلق على المناطق المأهولة بالسكان ، ومن هنا يمكن أن نقول : إن المقصود من كلمة العمران هو المنطقة الصالحة لوجود الحياة النباتية من يابسة الكرة الأرضية أو هي معمورة بها عملياً ، لأن النباتات أيضاً تتصف بالحياة مثل الحيوان تماماً ، إن كلمة (الخراب) ضد العمران ، ومعناها : مكان مهجور ، ودمار ، وأرض غامرة ، وقاحلة وبور وموات ، وغير مسكونة ، يمكن أن نقول إذن : إن الخراب هو منطقة غير صالحة للحياة النباتية أو غير مأهولة من يابسة الكرة الأرضية ، وإن القرآن الكريم أيضاً أكد مراراً وتكراراً على أن الأرض المعمورة بالنباتات والخضرة هي التي تتصف بالحياة والنماء ، أما الأرض القاحلة وغير صالحة للزراعة فإنها الميتة .

وإذا درسنا المنطقة اليابسة أي منطقة البر من الكرة الأرضية دراسة علمية من هذه الوجهة أمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام ، وهي كما يأتي :

١- الخراب بسبب الغرق Submergence

٢- الخراب بسبب التجليد القاري Continental Glaciation

(١٠) المفردات في غريب القرآن - راغب الأصفهاني : ص/٣٤٧ ، دار المعرفة - بيروت .

٣- الخراب بسبب التصحر Desertification

الخراب بسبب الغرق :

كما بينا سلفاً أن الحدود الحقيقية للقارات (اليابسة) أوسع بكثير من التي نراها فوق سطح البحر، إن من أهم العوامل لهذا النقص في المنطقة القارية هو : زيادة سطح البحر بسبب ذوبان الصفائح الجليدية للكرة الأرضية ، وإن معدل الجزء الغريق من القارات يقدر بـ ١١,٣ من مجموع مساحة الأرض وفق التقديرات الجديدة كما سبقت تفاصيلها في السطور السابقة ، ومن هنا فإن ثلاثة أرباع (٢٩,٢/في المائة) من مجموع مساحة اليابسة يقع فوق سطح البحر الحالي ، بينما الربع (١١,٣/في المائة) المتبقى منها غمرت في المحيطات وأصبحت خراباً (انظر شكل رقم/٢ ، الجزء الغائص في الماء من الرصيف القاري) .

الخراب بسبب التجليد القاري :

إن العلة الثانية الهامة لخراب الجزء القاري من الأرض هي : التجليد القاري ، وهو عبارة عن طبقات جليدية تغطي الجزء الأكبر لليابسة بالجليد والثلوج كلياً ، ومن هنا فإن قارة أنتاركتيكا بالقطب الجنوبي وجزيرة غرينلاند بالقطب الشمالي مغطاة بالجليد كاملة ، ومن ثم فإن الحياة النباتية والحيوانية منعدمة هناك تقريباً ، وإن معدل سمك الطبقات الجليدية على هذه القارات ٢-٤ كيلومترات ، وإن قارة أنتاركتيكا تقع تحت الجليد تماماً بينما غرينلاند مغطاة ٤/٥ بالجليد ، ومن هنا فإن الحياة النباتية والعمران البشري المستقل منعدمتان على قارة أنتاركتيكا ، بينما توجد القرى والمستوطنات والمناطق السكنية الصغيرة على الجزء المتجرد من الجليد بغرينلاند ، ويقدر هذا الجزء المخلو من الجليد بـ ١/٥ تقريباً ، وإن قارة أنتاركتيكا وغرينلاند والمناطق الجليدية الأخرى من اليابسة تغطي ١١/في المائة من مجموع الجزء القاري للكرة

الأرضية (١١) ، ولذلك تعد هذه المناطق لليابسة قاحلة أو غير صالحة للحياة النباتية ، وإن هذه المساحة تقدر بـ ٣,٢١ في المائة من مجموع المساحة للكرة الأرضية ، ونموذجه الرياضي كالتالي : ٣,٢١=١٠٠/(١١×٢٩,٢) .

انظر شكل رقم/٣ لمعرفة الطبقات الجليدية لقارة أنتاركتيكا وغرينلاند على وجه الأرض .

الخراب بسبب التصحر :

إن النوع الثالث من اليابسة التي تعتبر خراباً هي : المناطق الصحراوية على وجه الأرض ، وإن معظم الصحارى تعد قاحلة وحارة جداً بسبب وقوعها في المناطق الشبه الاستوائية Subtropical regions ، وإن المطر لا ينزل في هذه الأماكن إلا نادراً ، أو شبه معدوم ، ومن هنا فإن هذه المناطق لا تصلح لبقاء الحياة النباتية أو الحيوانية ، بل يجب على من يسكن في الصحارى أن يتعود على موسمها الحار الجاف ، وإن الحياة النباتية معدومة كذلك في الصحاري بسبب قلة الماء هناك .

وإن جميع الصحاري للكرة الأرضية تحيط بـ ١/٧ تقريباً من مجموع اليابسة الحالية وفق التقديرات الحديثة (١٢) إذ إن الصحاري تحتوي على الجزء السابع من مجموع اليابسة ، وإن هذه المساحة تتشكل ٤,١٧ في المائة من مجموع المساحة لجميع الكرة الأرضية ، ويمكن توضيحها بالنموذج الرياضي الآتي : ٤,١٧=٢٩,٢/٧ .

انظر شكل رقم/٤ ، صحارى الكرة الأرضية .

إن البحث الذي قمنا بدراسته في السطور السابقة عن البحر والبر على الأرض ، ثم عن العمران والخراب فيها يمكن خلاصته في الجدول التالي على النحو التالي :

(١١) Encyclopaedia Britannica 2001 Deluxe Edition CD ROM. Article:Glaciers

(١٢) World Book Encyclopaedia, Vol.5-P.130

المنطقة	المساحة (ألف مربع كيلومتر تقريباً	النسبة (المعدل)
مجموع مساحة الأرض	٥٠٩,٧٠٠,٠٠٠	١٠٠ %
مساحة البحار الحالية	٣٦١,٣٠٠,٠٠٠	٧٠,٨ %
مساحة اليابسة الحالية	١٤٨,٤٠٠,٠٠٠	٢٩,٢ %
الحدود الحقيقية للبحار (ما عدا الرصيف القاري والارتفاع القاري)	٣٠٣,٢٧١,٥٠٠	٥٩,٥ %
الحدود الحقيقة لليابسة (مع الرصيف القاري والارتفاع القاري)	٢٠٦,٤٢٨,٥٠٠	٤٠,٥ %
خراب اليابسة بسبب الغرق	٥٧,٦٩٨,٠٤٠	١١,٣٢ %
خراب اليابسة بسبب التجليد القاري	١٦,٣٦١,٣٧٠	٣,٢١ %
خراب اليابسة بسبب التصحر	٢١,٢٥٤,٤٩٠	٤,١٧ %
مجموع الخراب لليابسة	٩٥,٣١٣,٩٠٠	١٨,٧٠ %
مجموع العمران لليابسة	١١١,١١٤,٦٠٠	٢١,٨٠ %

جدول رقم/١ : معدل يابسة الأرض وبحارها وعمرانها وخرابها

إن الجدول المذكور يخبرنا أن البحر يحيط بـ ٦٠/في المائة (٣/٥) تقريباً من مجموع مساحة الكرة الأرضية ، بينما اليابسة تحيط بـ ٤٠/في المائة (٢/٥) تقريباً ، وإن نصف اليابسة يعد خراباً أو مهجوراً كذلك ، وإن معدله يشكل ١/٥ تقريباً من مجموع مساحة الأرض ، بينما النصف الآخر لليابسة (٢٢/في المائة) يعد عمراناً ، وإنه يشكل ١/٥ من مجموع مساحة الكرة الأرضية تقريباً ، وإن هذه الإحصائيات توافق تماماً مع الحقائق الواردة في

الحديث الشريف ، انظر شكل رقم/٥ ، لمعرفة بحار الكرة الأرضية ويابستها وعمرانها وخرابها من حيث المجموع .

والجدير بالذكر أن الفرق بنصف أو واحد في المائة لا تساوي شيئاً (لا يحسب له حساب) في هذه اللقطة الواسعة للكرة الأرضية ، وإن مثل هذه التقديرات تحتمل إمكانية زيادة ونقص (Margin of Error) بمعدل واحد أو نصف على كل حال ، ومن هنا فيجب علينا أن نفهم أن الهدف الحقيقي للأحاديث الشريفة هو تقديم اللقطة الواسعة والمشهد العظيم للكرة الأرضية .

وبعد ذلك طالع أيها القارئ الكريم الحديث القادم في هذا الصدد ، وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم ، وإنه يخبرنا بأن معدل الخراب على وجه الأرض ٤/٥، وإن نسبة العمران تشكل ١/٥ ، ومن هنا فإن أهمية الحديث الشريف اتضح جلياً بنفسه في ضوء الإحصائية الجغرافية المذكورة بحيث يشتمل معنى الخراب في هذا الحديث النبوي الكريم على خراب البحار ٣/٥ للكرة الأرضية وخراب اليابسة ١/٥ كليهما ، وإذا جمعنا كلا النوعين من الخراب فيصبح معدل مجموع خراب الكرة الأرضية ٤/٥ ، وإن لبيان الحديث القائل بنوعين من الخراب وجهاً ظاهراً ، لأن هذه المناطق تعد خراباً لعدم صلاحيتها للحياة النباتية ، ثم إن هذا الحديث أخبر بعد ذلك أن الجزء المتبقى من الكرة الأرضية ١/٥ عمران كما مرت تفاصيله سلفاً .

الإعجاز العلمي للأحاديث وأصوله :

كما اتضح من هذه الدراسة جلياً أن هذه المعلومات الدقيقة واكتشافات الجغرافية الحديثة توافق وتنسجم تماماً مع ما جاء به الأحاديث النبوية الشريفة من بيانات ، وأن الكلمات الوجيزة للحديث الشريف تفسر وتشرح تلك الحقائق المتعددة بأسلوب جميل للغاية ، ومن ثم فإن قاعدة علمية أولى تستنبط بهذا الانسجام التام والتماثل الكامل الذي يدعو للاستغراب والحيرة بين

الأحاديث والدراسات العلمية الحديثة هي : أن مرجع مثل هذه الحقائق لا يمكن أن يكون كلاماً إنسانياً ، بل إن مرجعها إلى الذات التي تملك من ذرة إلى مجرة ومن أدنى شئ في الوجود (الكون) إلى أكبر المظاهر الكونية ، وإن وصول مثل هذه المعلومات إلى الإنسان قبل التحقيق والبحث العلمي يدل دلالة تامة على ثبوت الوحي الإلهي ، وإنه يثبت أيضاً أن القرآن الكريم ليس وحده هو الوحي بل الأحاديث النبوية أيضاً شاملة في مجال الوحي .

والجدير بالذكر هنا أن الحديثين الأولين اللذين رواهما حسان بن عطية من الأحاديث المدروسة الثلاثة في البحث المذكور هما : من الأحاديث المقطوعة (الحديث المقطوع : ما رفع إلى التابعي) ، بينما الحديث الثالث الذي رواه عبد الله بن عمرو هو موقوف (الحديث الموقوف : ما رفع إلى الصحابي) ، ومن هنا فإن هذين القولين أسندا إلى الصحابة والتابعين ، فهما ليسا من أقوال الرسول الكريم ﷺ ، وإن عبد الله بن عمرو ﷺ صحابي ، بينما حسان بن عطية رحمه الله تعالى تابعي ، وبالتالي فإن القاعدة الحديثية تثبت ثبوتاً منطقياً وعلمياً ، فحواها : أن مصادر أقوال التابعين الصحيحة أيضاً هي الأحاديث النبوية بالإضافة إلى أقوال الصحابة رضي الله عنهم ، وإن منبع علم النبي الكريم ﷺ ومصدره هو : الوحي الإلهي .

ومن هنا فإن العلم الحديث لا يبرهن على صدق القرآن الكريم فقط ، بل يشهد على صحة الأحاديث النبوية الكريمة ، وإن الحديث الشريف يطلق على جميع الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة .

***

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

***

شكل رقم 1: الحواف القارية والحدود الحقيقية للبحار والقارات.

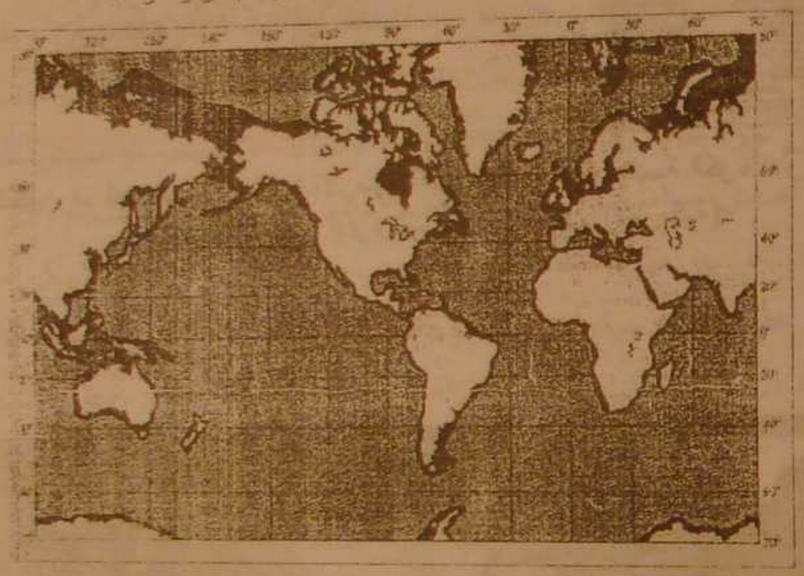

شكل رقم 2: الرصيف القاري: الجزء الغائص (الغريق) للقارات في المحيطات. والجدير بالذكر أن الجزء الأسود في هذا الرسم يمثل الرصيف القاري فقط، وان المنحدر القاري لم يرى فيه (المرجع: أوشيانوغرافي، الاكمانشن ووبلس)

شكل رقم 3: الصفائح الجليدية لقارة أنتاركتيكا الواقعة في القطب الجنوبي وجزيرة جرينلاند الواقعة في القطب الشمالي التي تغطي القارات كلياً في هذا الأيام. وانها تغطي 1/9 تقريباً لمساحة الكرة الأرضية الحالية. (المرجع: ناسا)

شكل رقم 4: صحاري الكرة الأرضية التي تغطي 1/7 ليابسة الكرة الأرضية الحالية. (المرجع: إدارة المسح الجيولوجي الأمريكية)

شكل رقم 5: اللقطة الفضائية لكرة الأرض التي تقدم معنى العمران والخراب المذكور في الحديث الشريف بوضوح كامل. وبالتالي فإن جميع يابسة الكرة الأرضية تشاهد خضرة نضرة مملوءة بالنباتات ماعدا المناطق الجليدية والصحراوية.

موقف علماء الهند من الاستشراق في عهد الاستعمار (٢)

بقلم: الأستاذ صاحب عالم الأعظمي

الاستشراق في عهد الاستعمار الإنجليزي :

لقد استطاع الإنجليز السيطرة الكاملة على شبه القارة الهندية من خلال شركة الهند الشرقية ، حتى أصبحت الهند مستعمرة بريطانية خالصة ، خصوصاً بعد فشل ثورة عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م ، وتغلب الاستعمار الإنجليزي على الشعب الهندي سياسياً وحضارياً وثقافياً ودينياً (١) ، فجاء الاهتمام أكثر عند الإدارة الإنجليزية لدراسة الشعب الهندي دراسة متعمقة ، حتى تتمكن من السيطرة على البلاد سياسياً ودينياً وثقافياً ، ولهذه البغية كلفت الإدارة الإنجليزية المعنية المستشرقين لدراسة الهند وأهلها بكل ما لهم وما عليهم ، وذلك من خلال التراث الهندي الإسلامي واللغات الهندية بما فيها في الدرجة الأولى اللغة الفارسية وآدابها (٢) ، وقد وفرت الإدارة الإنجليزية الأموال

(١) لمزيد من التفاصيل حول الثورة ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م راجع الكتب التالية : عطاء الله القاسمي : هندوستان كي پهلي جنگ آزادي ١٨٥٧م مين مسلمانون كا حصه ، ط/إدارة شاه ولي الله – دلهي عام ٢٠٠٨م .

(٢) كلفت الحكومة الإنجليزية بعض المستشرقين المتضلعين من اللغة العربية والفارسية واللغات الهندية لإخراج الكتب التاريخية والدينية ، ذلك من خلال نقل الكتب الفارسية إلى الإنجليزية ودراستها دراسة غير منصفة لغرض تشويه الشخصيات الإسلامية من الملوك والوزراء والأمراء والعلماء من الهند الإسلامي، وقد سار هؤلاء المستشرقون على سلوك معين ألا هو الطعن الشديد في الشخصيات الإسلامية ، ومن هنا لما كان هناك كثير من الملوك والشخصيات الدينية قدوة حسنة في الحكم والسياسة بمقتضى الشريعة الإسلامية ، كما مثلوا تمثيلاً دينياً صحيحاً لحفاظ الدين الإسلامي وشعائره وخصائصه ، ومن ثم <<<

وقامت بإنشاء المراكز الاستشراقية للمستشرقين بتأليف موسوعات تاريخية وأدبية وجغرافية وإحصائية (٣) كما قامت بالدعم الكامل للجماعات التنصيرية ، التي نشطت في تلك الآونة ، لمزيد من الفعاليات في تنصير أهل الهند (٤).

>>> رأي المستشرقون أن الطعن في هذه الشخصيات طعن في الدين الإسلامي الذين هم حملة رايته ، وتشويه سيرتهم تشويه للأمانة التي حملوها خلال فترة الحكم الإسلامي ، فحاول المستشرقون تزوير حقائق الدول الإسلامية التي حكمت الهند خلال ثمانية قرون ، وتشويه ملامح حسنات حكمهم ، وطمس معالمهم ، منطلقاً من عداء دائم لهم وأعمالهم السياسية والحضارية ، وعمل دائب على هدم شخصيتهم ، ويمكن ذكر أسماء بعض المستشرقين الذين دأبوا فترة طويلة لنقل الكتب الفارسية التاريخية إلى الإنجليزية ، ومنهم على سبيل المثال ، المستشرق إيج إم إيليت وداوسن (H.M.Elliot & John Dowson) اللذان قاما بنقل معظم الحوليات الفارسية إلى الإنجليزية في ثمانية أجزاء كبار ، وسماه : (The History of India, as Told by Its Own Historians. The Muhammadan Period) وقد أثنى المستشرق لين بول على هذا العمل الضخم قائلاً : "ليس هناك طريق أمثل لمعرفة أحوال شبه القارة الهندية في العصور الوسطى من أن يغوص الباحث في مجلدات الكتاب الثمانية التي تتناول تاريخ الهند الإسلامي كما ذكر مؤرخها... فهذا الكتاب يقدم رؤية الحياة الهندية من منظور مؤرخي البلاط الفارسي"، راجع:

. Lanepoole: Medieval India under Muhammadan Rule (London, 1903), Preface, p.v-vi

(٣) تعتبر الجمعية الآسيوية أكبر وأقدم مركز استشراقي في الهند وفي لندن لنشر المؤلفات الاستشراقية وغيرها ، حيث أنشئت في عام ١١٩٨هـ/١٧٨٤م ، وتليها مدرسة كولكاتا التي أنشئت في عام ١١٩٤هـ/١٧٨١م ، ثم قامت الإدارة الإنجليزية بإنشاء كلية فورت وليم في قلعة ويليم بكولكاتا عام ١٢١٤هـ/١٨٠٠م ، وقد قام المستشرقون بنقل آلاف من الكتب العربية والفارسية والأردية والسنسكريتية والهندية إلى الإنجليزية في هذه المراكز العلمية ، راجع الربط التالي :

. http://en.wikipedia.org/wiki/fort-william-college

(٤) لعل أكبر موسوعة تاريخية وجغرافية وإحصائية دونها المستشرقون تحت إشراف المستشرق الكبير وليم ولسن هنتر (William Wilson Hunter) ، ذلك في عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٩م ، بعنوان : (The Imperial Gazetteer of India) ، وتقع هذه الموسوعة في ٢٠/جزءاً كبيراً ، يتناول كل جزء جغرافية الهند وتاريخها وشعبها واقتصادها وغيرها منذ أقدم الزمن إلى العصور الإسلامية في الهند ، لمزيد من المعلومات ، راجع الربط التالي : http://en.wikipedia.org/wiki/imperial-gazetteer-ofindia

ولما كان التاريخ قد أصبح في أواخر التاسع عشر وفي أوائل القرن العشرين ، مدخلاً واسعاً للشبهات حول الإسلام وحضارته ونظام حكمه ومعاملته لمن كان تحت حكمهم ، ذلك بسبب مجهودات المستشرقين والمنصرين الذين قاموا بافتراءات على الإسلام ونبيه ﷺ وحاولوا إقناع المسلمين وغيرهم بأفضلية الديانة المسيحية على الأديان كافة ، وأدى هذا إلى أن بعض المسلمين وقع في شباكهم إما بسبب جهلهم بالإسلام الصحيح ، وإما بسبب فقرهم وإفلاسهم ، فارتدت كثير من الشخصيات الإسلامية عن الإسلام ، ولعل أشهر من ارتد آنذاك هو القس عماد الدين (١٨٣٠-١٩٠٠م) الذي كتب ما يقارب من أربعين كتاباً يؤيد فيها المسيحية ، وبهذا أصبح هو ومن شابهه أكبر خطر على الإسلام والمسلمين (٥) .

موقف علماء الهند من الاستشراق والاستعمار :

لقد انتبه علماء المسلمين في الهند إلى هذا الخطر الداهم ، وألفوا كتباً يردون فيها على افتراءات القساوسة والمستشرقين ، كما اهتم العلماء أيضاً بمناظرة بعض القساوسة والمستشرقين مناظرة شفهية ، ومن المؤكد أن ذلك أثمر فوائد كثيرة للمسلمين ، ولكنها اقتصرت عليهم فقط (٦) ، وقد ألف علماء

---

(٥) راجع يوسف عامر : منهج علماء الأردية في الرد على المستشرقين ، ط/القاهرة ٢٠٠٩م : ص/٢٩، وقد دعم الاستعمار بعض الفرق الباطلة ضد الإسلام ومنها القاديانية التي أسسها غلام أحمد ميرزا قادياني (ت١٣٢٥هـ/١٩٠٨م) في بلدة قاديان عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م ، وكتب مؤلفات كثيرة ضد الجهاد الإسلامي مع الغرب ، وكان أكبر أداة في الإدارة الإنجليزية ضد الإسلام والمسلمين ، راجع للتفصيل عنه وعن أعماله ،كتاب العلامة أبي الحسن الندوي : القادياني والقاديانية ، ط/الدار السعودية للنشر والتوزيع .

(٦) لمزيد من التفاصيل راجع ألطاف حسين حالي : حيات جاويد ، ط/٣ ، ترقي أردو بيورو – الهند ، عام ١٩٩٠م : ص/٤١٦ من أشهر المناظرين الهنود رحمة الله الهندي (١٢٣٣-١٣٠٨هـ/١٨١٨-١٨٩١م) الذي اشتهر بمناظرته القسيس الألماني كارل غوتليب فندر (ت١٢٨١هـ/١٨٦٥م) (Karl Gottlieb Pfander) وهو الذي قام آنذاك بتأليف كتاب باللغة الهندية عن النبي الكريم ﷺ ؛ <<<

مسلمون آخرون في الهند كتباً ذات قيمة علمية ونقدية في الرد على المسيحية ، منهم العلامة السيد آل حسن الموهاني (ت١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) صاحب كتابي : "الاستفسار" و "الاستبشار" ، والشيخ عنايت رسول الجرياكوتي (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) صاحب كتاب "البشرى" ، وكان قد درس اللغة العبرية وأتقنها (٧) .

وكان هناك خطر آخر قام بسبب الإدارة الإنجليزية ؛ بحيث نجح الأخير في بث الروح الهندوسي في المجتمع الهندوسي فقام بعض العلماء الهندوس بإحياء الهوية الهندوسية من جديد ، وللادعاء بأن الهندوسية هي أفضل الدين إطلاقاً ، وبدأ الهندوس يعادون المسلمين ، واعتبروهم قد احتلوا بلدهم لفترة سبعمائة سنة ومن ثم لابد من الانتقام منهم واستردادهم إلى الدين الهندوسي

>>> ذلك معتمداً على المصادر القديمة الموثوق بها عند المسلمين ، لكي يقرأه المسلمون ، ومن أهم أعماله "ميزان الحق" و "مفتاح الأسرار" و "تاريخ حياة" ثم قام بنشر كتابه المعروف "إظهار الحق" رداً على كتاب "ميزان الحق" وهو من أهم الكتب المؤلفة في بابه ، يتضمن الكلام عن المسائل الخمس : التحريف والنسخ والتثليث وحقية القرآن ونبوة محمد ﷺ ، وكذلك عن كتب العهد القديم والجديد ، وقد كتبت كبرى صحف إنجلترا تعليقاً على هذا الكتاب "لو دام الناس يقرؤون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم ، هذا وقد قامت المناظرة التاريخية في ١١/من رجب سنة ١٢٧٠هـ - ١٠/من أبريل عام ١٨٥٤م بمدينة (آغرا) ، وأسفرت هذه المناظرة عن اعتراف "القس فندر" بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل ، وظهر ضعف "فندر" في المناظرة وتعنته ، ولم يرجع القس إلى المناظرة في اليوم الثالث ، راجع مقدمة أبي الحسن الندوي لكتاب "إظهار الحق" ، ط/قطر سنة ١٩٨١م ، راجع أيضاً (Maulana Rahmat Allah Kairanwi and Muslim-Christian Controversy in India in the Mid-nineteenth Century. Journal of the Royal Asiatic Society. No.1,1976) .

(٧) لمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع الإمام أبا الحسن الندوي : مقالة الإسلام والمستشرقون ، نشر في كتاب "الإسلام والمستشرقون" : ص/١٦-١٧-١٨ .

وإلى البرهمية الهندوسية ، ذلك عن طريق التأليفات والمناظرات مع المسلمين مع إثبات أن أفضل شريعة ودين في العالم هي الديانة الهندوسية ، فشارك كثير من المفكرين الهندوس في تدوين المؤلفات ضد الإسلام والنبي الكريم ﷺ (٨) .

لقد اختار علماء الهند منهجاً دقيقاً للرد على كل من المستشرقين الإنجليز والهندوس ، ذلك من خلال كتابة البحوث والكتب المعنية في اللغات العديدة ، فمنهم من كتب باللغة الأردية (٩) ، ومنهم من رد على المستشرقين من خلال ترجمة مؤلفات الكتب الدينية المسيحية واليهودية (١٠) ، ومن خلال مؤلفات

---

(٨) حول الحركات الهندوسية راجع عبد الحميد البطريق : باكستان في ماضيها وحاضرها ، ط/دار المعارف بمصر ، دون تاريخ : ص/٣٥ .

(٩) مثلما كتب الأديب الأردي ألطاف حسين حالي (١٢٥٢-١٣٣٢هـ/١٨٣٧-١٩١٤م) كتابه : "ترياق مسموم" ، إذ كتبه سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٨م رداً على إدعاءات المرتد "القس عماد الدين" في كتابه : "تحقيق الإيمان" ، كتب حالي بنفسه في مقدمة الكتاب أن الهدف منه هو الرد على كتاب "تحقيق الإيمان" ، لترجمة القس عماد الدين ، راجع : (Imad-ud-din: The Life of the Rev. Mawali Dr-. Imad-ud-din, Lahiz Lahore, Punjab Religious Book Society, 1957) وكان ألطاف حسين حالي عالماً باللغة الفارسية والعربية بجانب لغته الأم الأردية، ومن أشهر مؤلفاته بالأردية : حيات جاويد ، حياة سعدي ، وهو من فحول شعراء الأردية ، وممن قادوا حركة التجديد في الشعر الأردي ، وهو مؤسس النقد الأردي الحديث بفضل مقدمته لديوانه "شعر وشاعري" ، ومن أشهر منظوماته "مد وجزر إسلام" أي الإسلام بين المد والجزر ، راجع : عبد القيوم : حالي كي أردو نثر نغاري ، ط/الهند : ص/٦٤ .

(١٠) لقد استفاد الشيخ رحمة الله الكيرانوي من الدكتور محمد وزير خان (ت١٢٨٠هـ/١٨٦٤م) للاطلاع على المصادر الأجنبية ، حيث سافر الأخير إلى لندن سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م يدرس الطب الجديد ، وقد نال فيه شهادة عالية ، وأتقن اللغة الإنجليزية ، كما درس اللغة اليونانية ، وعني بدراسة المسيحية من مصادرها الأصلية ، واستصحب هذه المكتبة الثمينة إلى الهند استفاد بها الشيخ رحمة الله كل الاستفادة ، راجع الإمام أبا الحسن الندوي : الإسلام والمستشرقون : ص/١٦ .

المستشرقين المنصفين وغيرهم مع إضافة التعليقات والحواشي المفيدة .

وتجدر الإشارة إلى أن علماء الهند لم يسافروا إلى أوربا لكي يكونوا أداة في يد الاستعمار لنشر الثقافة الغربية في الهند ، مثل ما حدث مع الدول الإسلامية الأخرى ، بحيث إنهم تلقوا الأفكار الاستشراقية مع تلقين التعليم ، ثم عادوا إلى البلاد ليدرسوا ويعلموا ما تعلموا (١١) ، ومما يميز مؤلفات علماء الهند في الرد على المستشرقين أنها ألفت في الفترة نفسها التي نشر فيها مؤلفات المستشرقين تقريباً ، وأيضاً اختار علماء الهند أسلوب المناظرة والحوار والبعد عن الهجوم و العداء ، و هي من أهم سمات علماء الهند في الرد على المستشرقين (١٢) .

وعلينا الآن سرد بعض الشخصيات المهمة التي كتبت عن الإسلام والسيرة النبوية وسير مشاهير الإسلام بجانب الدراسات الإسلامية والتاريخية ؛ ذلك للرد على المستشرقين و أعمالهم الاستشراقية ، و من أهم هذه الشخصيات :

مولوي جراغ علي (١٣) : الذي كتب كتاباً بعنوان : "تحقيق جهاد"

---

(١١) مثلما حدث مع الدكتور طه حسين (ت١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) الذي اعتمد على أفكار ومؤلفات المستشرق مرجليوث (Margoliouth) (١٢٧٤-١٣٥٨هـ/١٨٥٨-١٩٤٠م) ، خصوصاً على كتابه : "أصول الشعر العربي" لإعداد كتابه عن الشعر الجاهلي الذي صدر عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، راجع غوستاف بفانموللر: الإسلام في الفكر الاستشراقي ، ترجمة محمود حمدي زقزوق ، ط/مجلة مركز بحوث السنة والسيرة ، العدد الثاني ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م : ص/١٣٥ .

(١٢) راجع شبلي النعماني : سيرة النبي ، ط/لاهور – باكستان ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م : ص/٦٦-٦٧-٦٨ .

(١٣) وهو من رفقاء السيد أحمد خان – بأي ذكره بالتفصيل بعد قليل – في حركته الإصلاحية ، وهو كشميري الأصل ، توفي عام ١٣١٢هـ/١٨٩٥م ، وأغلب مؤلفاته باللغة الإنجليزية ، كما كان >>>

وهو مترجم عن كتابه الإنجليزي (Critical Exposition of popular Jihad) ، ورد فيه على ادعاءات المستشرقين حول الجهاد الإسلامي ، وادعائهم بأن غزوات النبي الكريم ﷺ كانت بهدف الاستعمار والحصول على الغنائم ، وأثبت بأدلة قاطعة بأن غزوات النبي الكريم ﷺ كانت كلها دفاعاً ، وأن الإسلام يجيز الجهاد للدفاع فقط .

السيد أمير علي (١٢٦٥-١٣٤٦هـ/١٨٤٩-١٩٢٨م) (١٤) : الذي كتب كتباً كثيرة في التاريخ والسير ؛ ذلك لتقديم الصورة الإسلامية الصحيحية في إنجلترا ، وللرد على المستشرقين وعلى ما قالوا عن السيرة النبوية وعن مشاهير الإسلام ، ومن أهم مؤلفاته كتبه باللغة الإنجليزية وهو في الرابع

>>> يعرف اللغتين السريانية والعبرية ، ومن مؤلفاته باللغة الإنجليزية (1.Critical of popular Jihad.2.Reforms under Muslim Rule.3.Mohammed the Prophet.) ، ومن مؤلفاته الأردية : ١- تعليقات . ٢- إسلام كي دنيوي بركتين . ٣- قدم قومون كي تاريخ . ٤- سيرة بي بي هاجرة . ٥- سيرة مارية قبطية . ٦- تعليق نياز نامه ، وكان قد بدأ في تأليف كتاب بعنوان : "الإسلام والعلوم الحديثة" ولكن الله توفاه قبل الانتهاء منه ، راجع الشيخ محمد إكرام : موج كوثر ، ط/لاهور – باكستان : ص/١٦٧ .

(١٤) هو أيضاً من رفقاء السيد أحمد خان ، قابله في إنجلترا وفي الهند ، ويمتاز السيد أمير علي بثقافته الغربية والشرقية الواسعة ، وكان حسن استعداده الأدبي ، ودراسة الآداب الإنجليزية في سعة وعمق ، مما مكّنه من السيطرة على أسلوب إنجليزي أدبي ممتاز ، استخدمه في نشر كتبه الإسلامية المملوءة حماسة وغيرة على الإسلام ، ومن مؤلفاته الأخرى : ١- الأحوال الشخصية للمسلمين The personal Law of Muhammedans (1880) ، ٢- روح الإسلام The Spirit of Islam (1891) ، ٣- الأخلاق في الإسلام Ethics of Islam (1893) ، ٤- Islam (1906) ، ٥- الوضع الشرعي للمرأة في الإسلام The Legal Position of Women in Islam (1912) ، ٦- مختصر تاريخ العرب A Short History of Saracens (1898) ، راجع الإمام أبا الحسن علي الندوي : الإسلام والمستشرقون : ص/١٩-٢٠ .

والعشرين من عمره حول السيرة النبوية بعنوان : (A Critical Examination of the Life and Teaching of Mohammed (1873) أي محمد وتعاليمه ، وكان له صدى بعيد في الأوساط الأوربية والهندية (١٥) .

صلاح الدين خدا بخش (١٢٩٣-١٣٤٩هـ/١٨٧٧-١٩٣١م) :

الذي تجاوزت شهرته الهند ، وقد نقل صلاح الدين عدداً من الكتب في الموضوعات الإسلامية من الألمانية إلى الإنجليزية مثل "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري" (Islamic Civilization in the Fourth Century of the Hegira) ، للمستشرق آدم متز ، أما كتبه التي وضعها بالإنجليزية فمن أشهرها المجلد الثاني من كتاب مساهمة في تاريخ الحضارة الإسلامية (Contribution to the History of Islamic Civilization) (١٦) ، والحضارة العربية (The Arab

(١٥) وقد قال عنه المستشرق آسبورن : "إن هذا الكتاب يستحق الإعجاب حقاً ، وقد كتب بأسلوب يدل على ملك كاتبه لناصية اللغة الإنجليزية ، أسلوب قل من يستطيع أن يجاريه من الإنجليز المثقفين ، أسلوب خلا من العيوب التي وقع فيها مثقفو الهنود ... ويجب أن يهنأ مسلمو الهند بأن يكون منهم من بلغ هذه الدرجة ، ومن المستحيل على من فاتحة أعماله هذا الكتاب ألا يكون له في مستقبله أثر فعال وعميق في قوته ، أما موضوع الكتاب فإننا نخالفه في كثير من مسائله ، وسنعرض وجهة نظرنا و وجهة خلافنا فيما بعد" ، راجع أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، ط/دار الكتاب العربي – بيروت ، لبنان : ص/١٤٠ .

(١٦) طبع هذا الكتاب من جامعة كولكاتا عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م ، والمجلد الأول ترجمة كتاب المستشرق فون كريمر (Von Kremer) ، حيث قام صلاح الدين بالرد الوافي على ادعاءات فون كريمر حول الإسلام والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وله كتب أخرى : 1.Essays Indian and Islamic (1912), 2.Hindustani Literature of to-day. Some suggestions (1910), 3.The Islam of Mohammed (1909 ، هذا وقد تناول المستشرق جيبون (Gibbon) موضوعات إسلامية وتاريخية في كتابه : (The Decline and Fall of the Roman Empire) ، خصوصاً عن ظهور الإسلام والمسيحية ، وقام بترجمة الآيات القرآنية وفسرها تفسيراً خاطئاً لتشويه صورة النبي الكريم ﷺ ، فقام صلاح الدين بالرد الوافي على ادعاءاته حول الإسلام والنبي الكريم ﷺ ، راجع كتابه : (Khuda Bukhsh: Founder of the Bankipore Oriental public library, p. Kolkata 1909, p.191 .

civilization) مترجمة من اللغة الألمانية للمستشرق جوزيف هيل (Joseph Hell) .

محمد إقبال (١٢٩٣-١٣٥٦هـ/١٨٧٧-١٩٣٨م) :

شاعر وأديب ومفكر إسلامي ، استرعى انتباه العالم ، واستفاد منه رجال العلم في أوربا ، وأحالوا عليه في مؤلفاتهم وكتاباتهم ، وله كتاب قيم تحت عنوان : (Reconstruction of Religious Thought in Islam) ، الذي هو مجموع محاضراته التي ألقاها بمدينة (مدراس) بالهند ، مما يبعث على التفكير الجديد ، ويزخر بالمواد القيمة (١٧) .

السيد سليمان الندوي (١٣٠١-١٣٧٢هـ/١٨٨٤-١٩٥٣م) :

وهو من تلاميذ العلامة شبلي النعماني ، وله الفضل في نشر معارف السنة النبوية والدفاع عن حظيرة الدين ، فإن لمؤلفاته العلمية المستفيضة من عيون الكتاب والسنة تأثيراً بالغاً في تكوين عقائد المسلمين وتقويم أفكارهم (١٨) .

(١٧) وقد نقله إلى العربية بعنوان : "تجديد الفكر الديني في الإسلام" الأستاذ عباس محمود ، وطبع في مصر ، كما ترجم الكتاب إلى اللغة الأردية ، لمزيد من المعلومات عن الشاعر الإسلامي ، راجع الإمام أبا الحسن الندوي : روائع إقبال ، ط/دار القلم ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

(١٨) راجع ترجمته في "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" : ج/٣ ، ص/١٢٣٥-١٢٣٨ ، وحياة سليمان للأستاذ معين الدين أحمد الندوي ، و "براي شراغ" (المصابيح القديمة) لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي ، وفي كتاب "الرسالة المحمدية" بتحقيق وتعليق وتخريج الأستاذ رحمة الله الندوي) قال سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي عنه : "كان راسخاً في العلوم العربية وأدبها ، دقيق النظر في علوم القرآن وعلم التوحيد والكلام ، غزير المادة في التاريخ وعلم الاجتماع والمدنية ، صاحب أسلوب أدبي في اللغة الأردية وكاتباً مترسلاً في اللغة العربية" ، وله مؤلفات عديدة من أهمها : تكملة سيرة النبي ،تاريخ أرض القرآن ، سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، الخيام ، حياة شبلي ، الملاحة العربية والاكتشافات البحرية ، قاموس في ألفاظ اللغة العربية ، نساء الإسلام ، تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها ، ومن أشهر مؤلفاته هو كتاب : "الرسالة المحمدية" كتبه باللغة الأردية ونقله إلى العربية <<<

هذا وقد اهتم علماء الهند بترجمة معظم مؤلفات المستشرقين في القرن التاسع عشر الميلادي حول الدراسات الإسلامية عموماً وعن السيرة النبوية خصوصاً إلى اللغة الأردية أو إلى الإنجليزية من اللغات الأوربية ، أو ترجمة أجزاء منها تتحدث عن الإسلام ونبيه ﷺ ، سواء كانت هذه المؤلفات في حق النبي الحبيب ﷺ أو ضده ، وكان الهدف من هذه الترجمات يرجع إلى أمرين : الأول : إخبار العناصر غير الإسلامية أن اعتراضات المستشرقين وغيرهم على الإسلام ونبيه ﷺ ليست على حق ، فثمة بعض من أهل دينهم وبني جلدتهم من يقر بأن الإسلام دين السلم والمحبة ، وأن النبي الكريم ﷺ رسول الله حق من جانب الله سبحانه وتعالى ، والثاني : إخبار المسلمين بأن كافة المستشرقين ليسوا متعصبين ، بل إن منهم أيضاً العادل والمنصف ، الذي لا ينظر إلى أصحاب الديانات الأخرى نظرة بغض وكراهية وعناد ، وكل بغيته هي الوصول إلى الحقيقة (١٩) .

***

>>> الأستاذ محمد ناظم الندوي ، وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصححها الأستاذ رحمة الله الندوي ، وقد استدل السيد سليمان الندوي ، بما ذكره كل من المستشرق باسورث سميث ، وإيدوارد جيبون للرد على ادعاءات المستشرقين المتعصبين حول السيرة النبوية ، راجع كتابه : "الرسالة المحمدية" ، ط/الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٨٤م : ص/٨٤-٨٥ .

(١٩) راجع يوسف عامر: منهج علماء الأردية في الرد على المستشرقين : ص/٥١-٥٢ وقد ترجمت أجزاء من كتاب : (On Heroes and Hero Worship and the heroic in History) لصاحبه المستشرق كار.

الإمام الشهيد حسن البنّا

١٤/أكتوبر١٩٠٦م-١٢/فبراير١٩٤٩م

إسهاماته في مجال الدعوة والأدب

(١)

بقلم : الدكتور إحسان الله خان الندوي
كلية التجارة ، جامعة عليكراه الإسلامية - عليكراه - الهند

كانت حالة الأمة الإسلامية في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي تشبه حالة تائه ضل طريقه ، ونفد زاده ، وأوشك على الغرق في بحر متلاطم عميق ، وأوشك على الهلاك في صحراء منقطعة بعد أن نفدت قدرته ، وشلت عزيمته واستلم للموج ، أو مريض يئس من الشفاء بعد أن جرب كل علاج .

كان هذا بعد تمكن اليهودي الخاسر من ضرب الخلافة الإسلامية ، ثمّ قفزة أعداء الإسلام تقطيع العالم الإسلامي واستعماره ، وبذر ألوان الشر في الأفكار والسلوك والعادات وصبغها بالصبغة المادية .

وفي وسط هذه الدياجير المظلمة ارتفع صوت الإسلام مرة أخرى ، ينقذ التائه ، وينتشل الغريق ، ويأخذ بيد المريض ويداويه ، صوت ينادي الأمة من جديد ، يبعث فيها الأمل ، ويردها إلى قرآنها وتاريخها وحضارتها وأصالتها ... ذلك هو الإمام الشهيد حسن البنا .

أسرته : كانت شخصية جد الشيخ البنا من أشراف قرية معروفة بشمشيرة – قرية نائية بعيدة – وأكرمه الله تعالى بابنين ، أحدهما أحمد ، وثانيهما محمد ، وجه أولهما شطره إلى الدرس والتعليم في الأزهر ، وآخرهما يساهم في مهنة الأب ، الزراعة ، وقد وقع النزاع بينهما عقب وفاة أبيهما في قضية الميراث ، وكان محمد يرى أن تكون أرض المزرعة كلها في يده لأنه

صرف أكثر أوقاته في رعايتها وكاد أن يجعل هذا النزاع صورة رهيبة ، ولكن الأخ الآخر هجر كل ما يملك لأخيه و وصل إلى المحمودية (١) .

وبدأ أحمد بن عبد الرحمن البنا والد الشيخ حسن البنا من صناعة إصلاح الساعة وعرف بالساعاتي ، وكان لهذه الصناعة أثر كبير فيه وفي ابنه من بعده لما تقتضيه من دقة ومهارة وضبط ، وتعلم في الجامع الأزهر ، فكان يصرف جزءاً من يومه في إصلاح الساعة وما بقي من أوقاته يبذله في دراسة الفقه والحديث وتدريس القرآن الكريم ، وكانت له مكتبة ذاتية تشتمل على ذخيرة نادرة للكتب الإسلامية المتنوعة ، فدرس هذه الكتب دراسة واسعة ، وامتلأ منها وتضلع فيها ، وحين أنشأ أهل القرية مسجداً كلفوه إلقاء خطبة في أول جمعة ، فخطب ونال رضى القوم وإعجابهم ، ولم تكن هذه الخدمة مقيدة بوظيفة ولا راتب شهري ، بل كانت في سبيل الله ابتغاء مرضاته ، فقام بتدوين "مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني" حسب الأبواب الفقهية وسماه : "الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني" فشرحه شرحاً وافياً وخرّج الأحاديث وتحدث عن الرجال والإسناد وقام بحل الألفاظ الصعبة وسماه: "بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني" وقد قام أيضاً بتبويب جديد لمسند أبي داؤد الطيالسي وسماه : "منحة المعبود" ، وكذلك أضاف الحواشي على مسند الإمام الشافعي ، وطبعت هذه الحاشية باسم : "بدائع المسند في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن" وهذه الخدمات الجليلة أداها الشيخ أحمد عبد الرحمن وحيداً منفرداً ، وكانت الثمرة الطيبة لهذه المجهودات أنه أنعم الله تعالى عليه بالبنين و البنات ، يبلغ عددهم إلى سبع نسمة و كان أحدهم الشيخ حسن البنّا (٢) .

(١) T.Ushama, Impact of Islamic Movements on Modern Arabic Literature during 20th Century, p.15 (Ph.D.Thesis).

(٢) إسحاق موسى الحسيني : الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة : ص/٥٣ .

ولادتـــه ونشأتـــه :

ولد الشيخ حسن البنا في السادس من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٦م بالمحمودية (٣) و وجهه أبوه من صغره إلى العلوم الدينية ، ولما بلغ ثمانية من عمره دخل في الكتاب من قريته (٤) ، وكان من أساتذته محمد زهران صاحب (مدرسة الرشاد الدينية) وهو إن كانت دراسته النظامية لم تصل به إلى العلماء الرسميين ، فإن ذكاءه واستعداده وأدبه وجهاده قد جعله يسبق سبقاً بعيداً في المعارف وفي الإنتاج العام ويشتمل مواد الدراسة في مدرسة الرشاد الدينية على الأحاديث النبوية حفظاً وفهماً ، فكان على التلاميذ أن يدرسوا كل أسبوع في نهاية حصص يوم الخميس حديثاً جديداً يشرح لهم حتى يفقهوه ، ويكررونه حتى يحفظوه ، ثم يستعرضون معه ما سبق أن درسوه فلا ينتهي العام إلا وقد حصلوا ثروة لا بأس بها من حديث رسول الله ﷺ (٥) ثم دخل في المدرسة الإعدادية ، وكانت هذه المدرسة حينذاك على غرار المدرسة الابتدائية اليوم بحذف اللغة الأجنبية وإضافة بعض مواد القوانين العقارية والمالية وطرف من فلاحة البساتين ، مع التوسع نوعاً في دراسة علوم اللغة الوطنية والدين .

وفي هذه المدرسة أسست (جمعية الأخلاق الأدبية) فوقع اختيارهم عليه رئيساً لهذه الجمعية ، وكذلك إذا ألفت جمعية منع المحرمات ، فكان من أنشط الأعضاء ، وقرر مجلس مديرية البحيرة إيفاء نظام المدارس الإعدادية وتعديلها إلى مدارس ابتدائية ، فلم يكن أمام الطالب إلا أن يختار بين أن يتقدم إلى المعهد الديني بالإسكندرية ، ليكون أزهرياً أو إلى مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور ليختصر من الطريق ويكون بعد ثلاث سنوات معلماً ، ورجّح الأستاذ البنا

(٣) خير الدين الزركلي – الأعلام : ١٨٣/٢ ، وإسحاق موسى الحسيني – المصدر السابق : ص/٥٣ ، و T.Ushama: Ibid,p.1, The Oxford Encyclopedia of the modern Islamic world, V.1,p.195.

(٤) ذكريات هذا الإمام في مكتبات الوالد : مجلة الدعوة ٣-٣١/فبراير ١٩٥١م .

(٥) حسن البنّا – مذكرات الدعوة والداعية : ص/٤ .

كفة الرأي الثاني في النهاية ، فالتحق بهذه المدرسة ، ولازم التدين في هذا الدور واستغرق في التعبد والتصوف ، ولزم الطريقة الحصافية كما يذكر الإمام الشهيد في مذكراته : "فاجتذبته حلقة الذكر بأصواتها المنسقة ونشيدها الجميل وروحانيتها الفياضة وسماحة هؤلآء الذاكرين من شيوخ وفضلاء وشباب صالحين وتواضعهم لهؤلآء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم يشاركوهم ذكر الله فواظب عليها ، توطدت الصلات بينه وبين شباب هؤلآء الإخوان الحصافية ومنذ ذلك الحين أخذ اسم الشيخ الحصافي يتردد في أذنه فيكون له أجمل وقع في أعماق القلب وأخذ الشوق والحنين إلى رؤية الشيخ والجلوس إليه والأخذ عنه يتجدد حيناً بعد حين" (٦) .

وحين التحق بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور – وهو في الرابعة عشرة من عمره – واظب على زيارة ضريح شيخ الطريقة الحصافية كل يوم تقريباً ، وعلى الحضرة في مسجد التوبة في كل ليلة مع الإخوان للحصافية ، ورغب في أخذ الطريقة ، حتى ينتقل من مرتبة المحب إلى مرتبة التابع المبايع ، فأخذها عن الشيخ نفسه في رمضان ١٩٣٣م وأذن له بأورادها و وظائفها ، كما يكتب بنفسه : "نزلت دمنهور مشبعاً بالفكرة الحصافية ، ودمنهور مقر ضريح الشيخ السيد حسنين الحصافي شيخ الطريقة الأول ، فيها نخبة صالحة من الاتباع الكبار للشيخ ، فكان طبعياً أن اندمج في هذا الوسط ، وأن استغرق في هذا الاتجاه (٧) .

وفي هذه السنوات الثلاث كان الشيخ البنا مستغرقاً في التصوف والتعبد ، ولكنه مع ذلك يقبل على الدروس وتحصيل العلوم خارج المناهج الدراسية ، ومن الكتب التي أثرت عليه عميقاً كانت الأنوار المهدية للنبهاني ، مختصر

(٦) المصدر السابق : ص/١٠-١١ ، ودائرة المعارف الإسلامية (الأردية) : ج/٤ ، ص/٩٨١-٩٨٢ .

(٧) حسن البنّا – المصدر السابق : ص/١٩ .

المواهب اللدنية للقسطلاني ، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ الحصري ، ويستأجر الكتب للدراسة والمطالعة ، وكانت "قصة الأميرة ذات الهمة" من أشد هذه الكتب وأعمق الأثر في نفسه ، وحفظ كثيراً من المتون في العلوم المختلفة ، فحفظ ملحة الإعراب للحريري ، ثم الألفية لابن مالك ، والياقوتية في المصطلح ، والجوهرة في التوحيد ، والرجية في الميراث ، وبعض متن السلم في المنطق ، وكثيراً من القدوري في فقه أبي حنيفة ، ومن متن الغاية والتقريب لأبي الشجاع في فقه الشافعية ، وبعض منظومة ابن عامر في مذهب المالكية ، ولا ينسى أبداً توجيه والده بالعبارة المأثورة : من حفظ المتون حاز الفنون (٨).

وفي هذه المدة كان يحب العلم حباً جماً وشديد الميل إلى القراءة والاستزادة من العلم ، فهو يقول بنفسه : "لقد كنت مؤمناً بفائدة العلم للفرد والجماعة و وجوب نشره بين الناس حتى إني أذكر أني عزمت على إصدار مجلة شهرية سميتها : "الشمس" وكتبت منها العددين : الأول والثاني تقليداً لأستاذنا الشيخ محمد زهران الذي كان يصدر مجلة "الإسعاد" الشهرية ، تشبها بمجلة "المنار" التي كنت كثير المطالعة فيها ، ولكن طريقة الغزالي وأسلوبه في ترتيب العلوم والمعارف وطلب العلم كانت قد أثرت في نفسي تأثيراً شديداً فكنت في صراع عنيف (٩) .

وكانت هذه الرغبة الشديدة والميل القوي إلى الدراسة واستزادة العلم من مطالعة "إحياء علوم الدين" للغزالي .

ولما تخرج من مدرسة المعلمين أدى كفاءة التعليم الأولى ، وظهرت النتيجة ، فكان الأول في المدرسة والخامس في القطر ، ودعي إلى تسلم عمل عقب الإجازة الصيفية مباشرة ، فكان عليه بناء على هذا أن يختار بين الوظيفة أو العودة إلى العلم بدار العلوم ، وفي النهاية فضل أن يستمر في سلك التعليم

(٨) المصدر السابق : ص/٢٧-٢٨ . (٩) المصدر السابق : ص/٢٩ .

ويدخل في دار العلوم .

وشمر عن ساق الجد في إعداد الاختبار ليدخل في دار العلوم وصار من الناجحين وقدم إلى القاهرة ، وما زال يستفيد من الأساتذة الكرام ، وكان سعيداً أنه ظهر متقدماً في الامتحان منحته المدرسة المكافأة المادية ، وهي جنيه في الشهر ، خصه لشراء الكتب غير المدرسية .

وكانت "جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية" يرأسها الأستاذ الشيخ محمود محمود ، وتقوم هذه الجمعية بإلقاء المحاضرات الإسلامية في مقرها بدار السادات ببركة الفيل أسبوعياً ، وفكر الأستاذ البنّا بما رأى من أمور تتنافي مع التعاليم الإسلامية ، و أن المساجد لا تكفي وحدها في إيصال التعاليم الإسلامية (١٠) ، فدعا أصدقاءه والطلاب الأزهريين وطلاب دار العلوم للتدرب على الوعظ والإرشاد في المساجد ، ثم في المقاهي والمجتمعات العامة إذا قاموا بالدعوة ، فكانت النتيجة عجيبة ، واستمع الناس في إصغاء وشوق (١١).

وأثناء هذه المدة كان الشيخ البنّا يلقى الأستاذ محب الدين الخطيب ، والأستاذ رشيد رضا ، والأستاذ فريد وجدي وأحمد تيمور باشا ، ويفكر دائماً مع الأساتذة والأحبة أن تكون جمعية تبذل من مجهوداتها في القضاء على موجة الإلحاد والإباحية في مصر (١٢) ولما دخل في السنة الأخيرة وقررت الموضوعات للإنشاء بمناسبة آخر العام الدراسي ، وكان من الموضوعات هذا الموضوع : "اشرح أعظم آمالك بعد إتمام دراستك ، وبين الوسائل التي تعدها لتحقيقها" فكتب الأستاذ "كل ذلك اعتقده عقيدة تأصلت في نفسي جذورها وطالت فروعها ، وحفرت أوراقها ، وما بقي إلا أن تثمر ، فكان أعظم آمالي بعد إتمام حياتي الدراسية أملان :

خاص : وهو إسعاد أسرتي وقرابتي ، والوفاء لذلك الصديق المحبوب ، ما

(١٠) المصدر السابق : ص/٤٤ . (١١) نفس المصدر : ص/٤٥ .

(١٢) محمد شوقي زكي : الإخوان المسلمون والمجتمع المصري : ص/١٢ .

استطعت إلى ذلك سبيلاً ، وإلى أكبر حد تسمح به حالتي ، ويقدرني الله عليه.

عام : وهو أن أكون مرشداً ، إذا قضيت في تعليم الأبناء سحابة النهار، و معظم العام قضيت ليلى في تعليم الآباء دينهم، ومنابع سعادتهم ، ومسرات حياتهم ، تارة بالخطابة والمحاورة ، وأخرى بالتأليف والكتابة ، وثالثة بالتجول والسياحة (١٣).

جاء وقت الامتحان ، فظهرت النتيجة ، وحصل على الدبلوم في يونيو ١٩٢٨م ، وكان متردداً متفكراً أن يحصل على الترشيح للبعثة إلى الخارج أو يكون موظفاً في المدارس ، ولم يطل هذا التردد حتى أعلنت دار العلوم أنها لم ترشح أحداً لهذا العام ، وتم تعيينه في الإسماعيلية .

الشيخ حسن البنّا – داعياً ومعلماً :

سافر الأستاذ البنّا إلى الإسماعيلية في وظيفة مدرس ، وكان في ذلك الوقت في الحادية والعشرين من عمره (١٤) ، ولما استقربه المقام بالإسماعيلية أثر في نفسه ما رأى من الاستعمار العسكري المتمثل في المعسكرات الإنجليزية بالقتال ، والاستعمار الاقتصادي المتمثل في شركة قناة السويس ، ثم ساءه أن يعرف أن المسلمين في البلاد منقسمون خلافات دينية نتيجة لتعصب كل فريق لرأي خاص ، فكان أن اعتزل جمهور المسجد ، وعاد إلى جمهور المقاهي مرة أخرى (١٥) ، واختار لذلك ثلاثة مقاه كبيرة ، ولقي كثيراً من الناس ورتب في كل منها درساً في الأسبوع ، وأخذ يزاول التدريس بانتظام في هذه الأماكن ، وكان يتحرى الموضوع الذي يتحدث فيه جيداً حتى لا يتعرض لبعض النواحي الخلافية ، كما كان في نفس الوقت يضرب مثلاً لتسامح علماء المسلمين في الصدر الأول مع بعضهم مع اختلافهم الآراء ، وكان أن عمل الوعظ عمله في نفوس المستمعين وبخاصة المرابطين منهم ، فأخذوا يفيقون ويفكرون ، ثم تدرجوا من ذلك إلى سؤاله عما يجب أن يفعلوا بحق الله عليهم ، وليودوا واجبهم ، دينهم وأمتهم (١٦) .

(١٣) حسن البنا – المصدر السابق : ص/٥٦ . (١٤) إسحاق موسى الحسيني ، المصدر السابق .

(١٥) حسن البنا – المصدر السابق : ص/٧٣ . (١٦) محمد شوقي زكي : المصدر السابق : ص/١٧

تأسيس جمعية الإخوان المسلمين :

وفي هذه الأثناء زار الأستاذ البنّا بالمنزل حضرات حافظ عبد الحميد الحصري ، فؤاد إبراهيم وعبد الرحمن حسب الله ، وإسماعيل عز ، وزكي مغربي ، وجلس هؤلآء الستة يتحدثون إليه ، وفي عيونهم بريق العزم ، يسألونه عن الطريقة العملية لعزة الإسلام ويحملونه مسئولية العمل والقيادة والتوجيه ، فتقبل هذه المسئولية بصدر منشرح ، وكانت بيعة بينهم جميعاً في أن يعملوا للإسلام والمسلمين حيث إنهم إخوان مسلمون ، وصار هذا الاقتراح اسم الحركة والجمعية فيما بعد .

وقامت هذه الحركة بإرساء الحجر الأساسي للمركز والمسجد في الخامس من شهر محرم الحرام ١٩٢٩هـ بالإسماعيلية وقامت لها فروع عديدة في الإسكندرية ، وجوانب القناة سوئز ، بل انتشرت فيما يزيد على خمسين بلداً من بلدان القطر المصري ، ففي الإسماعيلية أسست (مدرسة أمهات المؤمنين) لتعليم البنات ، وفي شبراخيت أسست مسجداً ونادياً ومعهداً للبنين ودار صناعة يتعلم فيها طلبة المعهد الديني الذين لا يستطيعون إتمام التعليم ، وفي المحمودية قامت بمثل ذلك ، فأنشأ منسجاً للنسيج والسجاد إلى جوار معهد تحفيظ القرآن الكريم ، وقل مثل ذلك أو بعضه في كل شعبة من شعب الإخوان المنتشرة في أنحاء القطر من أدنو إلى الإسكندرية (١٧) .

لبث البنّا في الإسماعيلية في ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٣٣م ينشر دعوته وفق منهاج خاص وكان عمن استجاب إلى دعوته من طبقة العمال ، وأعزه النجاح على توسيع نطاق البيئة فلم يترك قرية ولا بلدة ولا دسكرة ولا كفراً إلا زاره وبات به واجتمع بالناس فيه ، في مساجدهم وبيوتهم ودورهم (١٨).

وبعد نحو خمس سنوات من تأسيس الدعوة بالإسماعيلية نقل البنّا مدرساً

(١٧) المصدر السابق : ص/١٧ . (١٨) أنور الجندي – حياة رجل وتاريخ مدرسة : ص/١٢٧.

إلى القاهرة ، وكانت هناك جمعية الحضارة الإسلامية من قبل ، واجتمع عدد كبير من الشباب حولها وقرروا أن ينضموا إلى هذه الحركة الجديدة بجميع أعوانهم .

وتفرعت للإخوان من فروع كثيرة ، فإذا وصل الشيخ البنّا إلى القاهرة زادت نشاطات الجمعية حيث استقال الشيخ من وظيفة التدريس ، وتوجه إلى الحركة بأكمل الوجه .

زوجاً و أباً :

وكان الناس في الإسماعيلية يحبون الشيخ حباً جماً ويعتبرونه لهم وسيلة الهدوء والطمأنينة وكان منهم الحاج حسين الصدلي من أشراف الإسماعيلية ، فتعلق بالشيخ متأثراً بدعوته وخلقه ، وينصره ويؤيده في أكثر الشئون ، ويحب أولاد الصدلي بالشيخ من أعماق قلوبهم ، فقام الشيخ الصدلي بتزويجه من ابنته ، وانعقدت هذه السعادة في شهر رمضان المبارك ١٣٥١هـ ، وصرحت الأيام أنها كانت من المؤمنات الصالحات والطيبات ، ورافقت مع الشيخ بلطف وإكرام ، فأعطاها الله خمس بنات ، وابناً واحداً ، وكانت هؤلآء البنات أسماءهن : سنا ، و وفاء ، ورجاء ، وهاجرة واستشهاد ، وآخرهنّ تولدت يوم استشهد الشيخ حسن البنّا ، وسميت الاستشهاد بهذه المناسبة وكان الولد اسمه أحمد سيف الإسلام المتخرج في كلية الطب وكان يشبه بوالده في الصورة والسيرة ، ينال درجة أولى في دراسته ولكنه حرم عليه جميع الوظائف الرسمية في سلطة جمال عبد الناصر ، ونال من عقوبات السجن وطالت إلى ٢٥/سنة ، وكان يصدق على أنه شبل من ذاك الأسد .

كاتباً و مؤلفاً :

وفي الواقع كان الشيخ البنّا داعياً ومصلحاً ولم ينهج على المنهج الذي سار عليه العلامة محمد رشيد رضا وغيرهم من المصلحين ، بل كان يريد أن يكوّن حركة في الشباب تكون حياتهم ومماتهم للإسلام والمسلمين ، ويقومون من مثل عليا للدنيا ، فلذلك بذل الشيخ من مجهوداته في سبيل التعليم والتربية ،

و وقف حياته لمن يعتنق بحركته في تحسين خلقهم وتجميل سيرتهم ، فأكثر ما يقول ويردد هذه الجملة : أصنف الرجال" فلم يترك من مآثر علمية إلا المذكرات والرسائل ، فيناسب أن يذكر جميع الرسائل ويلقى الضوء على أهم نكاته كي يكون السهل من فهم الجمعية وأسلوب الشيخ الرشيق وعبارته الأدبية .

هذه الرسائل صدرت للإشارة إلى أعمال الإخوان الاجتماعية ، ولشرح الأهداف ، ولتوجيه الحكومات إلى الأخذ بتعاليم الإسلام .

كان أول هذه الرسائل طبعاً "القانون الأساسي للإخوان المسلمين" واللائحة الداخلية ، ثم صدرت رسالة المرشد وظهر منها عددان فقط ، وكانت الرسالة الأولى بتاريخ ٢٠/شعبان ١٣٥١هـ تقريباً الموافق ١٩/ديسمبر سنة ١٩٣٣م ، والثانية بتاريخ ٥/رمضان سنة ١٣٤٩هـ ، وقد جاء في صدرها هذا التوجيه من مبادئ الإخوان المسلمين .

١- سلامة الاعتقاد والاجتهاد في طاعة الله تبارك وتعالى وفق الكتاب والسنة .

٢- الحب في الله والاعتصام بالوحدة الإسلامية .

٣- التأدب بآداب الإسلام الحنيف .

٤- تربية النفس والترقي بها إلى معرفة الله وإيثار الآخرة على الدنيا .

٥- الثبات على المبدأ والوفاء بالعهد مع اعتقاد أن أقدس المبادئ هو الدين .

٦- الاجتهاد في نشر الدعوة الإسلامية بين طبقات الأمة ابتغاء وجه الله.

٧- حب الحق والخير أكثر من أي شئ في الوجود (١٩) .

رسالة الجهاد :

هذه رسالة وجيزة حول موضوع الجهاد ، فأثبت الشيخ البنّا بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة أن الجهاد فريضة على كل مسلم

(١٩) انظر للتفاصيل : حسن البنا – مذكرات : ص/١٤٨ .

فريضة لازمة حازمة ، وكتب بعد ذكر الآيات "ما رجع إليها في المصحف الكريم لترى كيف يحض الله المسلمين على الحذر وممارسة القتال في الجيوش أو عصابات أو فرادي كما يقتضيه الحال ، وكيف يوبخ القاعدين والجبناء والمخلفين والنفعيين ، وكيف يشير إليهم لحماية الضعفاء وتخليص المظلومين ، وكيف يقرن القتال بالصلاة والصوم ، وبين أنه مثلهما من أركان الإسلام ، وكيف يفند شبهات المترددين ويشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعارك ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جريئ ، مبيناً لهم أن الموت سيدركهم لا محالة ، وأنهم إن ماتوا مجاهدين ، فسيعوضون عن الحياة أعظم العوض ولا يظلمون فتيلاً من نفقة أو تضحية (٢٠) .

وذكر الشيخ البنّا واحداً وثلاثين حديثاً في فضل الجهاد ، ثم بين حكم الجهاد عند فقهاء الأمة ، ثم ذكر لماذا يقاتل المسلم ؟ وقال : "إن الجهاد الإسلامي هو رحمة" (٢١) ، وذم كل ما يلحق بالجهاد في بحث الأصغر والأكبر وأثبت أنه كلام إبراهيم بن علية ، وليس من كلام النبي الكريم صلوات الله عليه والرحمة (٢٢) ، وقد كتب الأستاذ خليل الحامدي في ترجمة المذكرات إلى اللغة الأردية أن الشيخ البنّا كتب هذه الرسالة إذ كان الإخوان المسلمون يجاهدون في سبيل الله ضد اليهود في أرض فلسطين ، ولم تكن هذه رسالة علمية فكرية بل كانت منارة الهداية والاستثارة للشباب المسلمين (٢٣).

***

(٢٠) حسن البنا – رسالة الجهاد : ص/٥ .

(٢١) المصدر السابق : ص/٢١ .

(٢٢) المصدر السابق : ص/٣١ .

(٢٣) خليل الحامدي : حسن البنا كي دائري : ص/٦٦ .

الدوافع الإسلامية وراء تنشيط حركة الترجمة

في العصرين الأموي والعباسي

(١) بقلم : الدكتور محمد أنيس الفاروقي

في حين طلعت شمس الإسلام وبزغ نورها في الجزيرة العربية كان الجهل فاشياً والأمية شائعة بين العرب خاصة في بواديها وأريافها ، ولم تكن أحوالهم الثقافية قابلة للاهتمام حتى في قبيلة قريش التي كانت تمتاز بين القبائل بقدر ملحوظ من التحضر والتمدن ، فما كان يوجد فيها أكثر من سبعة عشر شخصاً يعرفون الكتابة ومنهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبو عبيدة وطلحة وأبو سفيان بن حرب ويزيد بن أبي سفيان ومعاوية وعثمان بن عفان وغيرهم ، وحفصة وأم كلثوم من أمهات المسلمين (١)؛ فدعا الإسلام المسلمين إلى حياض العلم وحثهم على اكتسابه فقبل المسلمون دعوة الإسلام إلى موارد العلم وعكفوا على تحصيله بعزم وثبات ، ومن الملاحظ هنا أن الإسلام عني بالعلم منذ البداية وحض أتباعه على نيله فأول سورة نزلت على الرسول الكريم ﷺ تبتدئ بـ ﴿ إِقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَ ... ﴾ {العلق/٣} ، وشجع الناس تشجيعاً بعيد المدى على تحصيل العلم وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وحث على طلبه من المهد إلى اللحد وأولى النبي الكريم ﷺ اهتماماً خاصاً بالتعليم بأقواله وأفعاله وحث الصحابة وحضهم على القراءة والكتابة كقول النبي الكريم ﷺ : "علّموا ، يسّروا ولا تعسّروا" (٢)

(١) فجر الإسلام – الدكتور أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان : ص/١٤٠-١٤١ .

(٢) المسند – أحمد بن حنبل ، دار المعارف بمصر : ج/١٢ ، رقم الحديث/٢١٣٦ .

وكذلك : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (٣) وكذلك قوله : "أن العلماء هم ورثة الأنبياء" (٤) فتحض هذه الأحاديث التي ذكرنا أعلاها على نيل التعليم والتربية والتثقيف وكتب عبد الرزاق نوفل بهذا الصدد يلقي الضوء على اهتمام الرسول الكريم ﷺ بالتعليم : لم يترك الرسول الكريم ﷺ فرصة إلا أوضح فيها مدى اهتمامه بالعلم ورغبته في أن يتعلم المسلمون ، فقد خرج ﷺ ذات يوم ورأى مجلسين ، أحدهما يدعو الله عزّوجلّ ويرغبون فيه ، والثاني يعلّمون الناس ، فقال : "أما هؤلآء ، فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم ، وإن شاء منعهم ، وأما هؤلآء فيعلّمون الناس وإنما بعثت معلّماً ثم عدل إليهم وجلس معهم" (٥) وكذلك لم يدع النبي الكريم ﷺ فرصة من فرص إلا واستخدمها لنشر التعليم وتعميمه بين المسلمين كما يبدو من واقعة أسرى غزوة بدر عندما طلب الرسول الكريم ﷺ إلى كل أسير من أسرى بدر من يجيد القراءة ويحسن الكتابة ولا يستطيع أن يفدي نفسه بالمال ، أن يعلّم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة لإطلاق سراحه (٦) ، وحث النبي الكريم ﷺ أصحابه وحضهم على تعلم اللغات الأجنبية حينما بعث دعاته ورسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية كما نصح النبي الكريم ﷺ زيد بن ثابت ﷺ وأرشده بأن يتعلم لغة اليهود لأنه لا يأمن من جانبهم نظراً إلى تاريخهم الخدع للمسلمين في الخدمات السفارية وغيرها (٧) ، استمرت

(٣) الترغيب والترهيب – الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان : ج/١ ، ص/٩٦ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن الحجر العسقلاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان : ج/ ١ ، ص/١٣٠-١٣١ .

(٥) المسلمون والعلم الحديث – عبد الرزاق نوفل ، مكتبة طابغ : ص/١٣٣ .

(٦) تاريخ الإسلام – الدكتور حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة : ٤٩٤/١ .

(٧) المسلمون والعلم الحديث – عبد الرزاق نوفل ، مكتبة طابغ : ص/٣١ .

عناية الدولة الإسلامية بالعلم حتى بعد وفاة النبي الكريم ﷺ فاهتم الخلفاء الراشدون بتشجيع التعليم بين الناس فأرسلوا العلماء من الصحابة في جميع أنحاء الدولة الإسلامية ليتعلم الناس منهم وإن كانت عناية المسلمين اقتصرت على العلوم الدينية المختلفة في هذا العصر (٨) .

أما الحالة الثقافية في العصر الأموي فكانت الحركة الثقافية في هذا العصر ناشطة مثلما كانت في عصر الخلفاء الراشدين ، ويبدو أن الحركة الثقافية في هذا العصر كانت امتداداً للحركة الثقافية في عصر الخلفاء الراشدين ، لأن العلوم الدينية تفرعت وتنوعت في هذا العصر فبرز في هذا العصر عدد كبير من العلماء في العلوم الدينية المختلفة ، وألفوا كتباً فيها كـ "عكرمة" و "الحسن البصري" في التفسير للقرآن الكريم ، و "مكحول الشامي" في الفقه ، و "محمد ابن شهاب الزهري" في تدوين الحديث في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ (٩) ، ولكن الحركة الثقافية في هذا العصر كانت مختلفة من عصر الرسول الكريم ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بحيث إننا نجد في هذا العصر كتاباً يترجمون كتب الفلسفة والطب والكيمياء والسياسة مثل أبي العلاء سالم ابن عبد الرحمن مولى هشام بن عبد الملك الذي ترجم كتاباً لأرسطو (١٠) في الفلسفة ، وترجمت كتب في الطب والكيمياء لخالد بن يزيد بن معاوية (١١) وكذلك تم نقل الدواوين التي تكتب بالفارسية في العراق وبالرومية في الشام وبالقبطية في مصر إلى العربية وسكّ العملة الإسلامية إلى العربية في عهد عبد الملك بن مروان (١٢) ، وأما حركة الترجمة في العصر العباسي فبلغت أوجها فيها بسبب عناية الخلفاء العباسيين ورعايتهم فبذل الخلفاء كالمنصور وهارون الرشيد والمأمون الرشيد جهوداً جبارةً لا تنسى، ولا يستهان بها في تطوير حركة الترجمة في عهودهم فتمت ترجمة معظم العلوم والمعارف التي كانت شائعة في

(٨) تاريخ الفكر العربي – الدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين – بيروت : ص/١٩٥ .

(٩) نفس المصدر : ص/٢٠٠-٢٠١ .

(١٠) نشأة العلوم الطبيعية في العصر الأموي – لطف الله قارئ ، تنفيذ دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع – الرياض : ص/٢٤ .

(١١) تاريخ الإسلام – الدكتور حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة : ١/٥١٠ .

(١٢) تاريخ الفكر العربي – الدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين – بيروت : ص/١٩٨ .

ميادين مختلفة كالطب والرياضيات والنجوم والفلك والفلسفة وغيرها من اللغات المختلفة كالهندية والسنسكريتية والفارسية والرومية وغيرها فلعبت هذه العلوم المنقولة دوراً مهماً في تطوير الحضارة العربية التي وصلت إلى ذروتها وقمتها في العصر العباسي وساعدت وساعفت في جعلها حضارة علمية خالدة ولكن الدواعي والحوافز الأساسية تعود جذورها وترجع أصولها إلى عصر النبي الكريم ﷺ والخلفاء الراشدين ولو لا هذه الحوافز لما جاءت حركة الترجمة إلى حيز الوجود بشكل رسمي ومنظم ، وكانت الدنيا محرومة من علوم الأمم الغابرة التي صانتها وحافظت عليها من الإبادة والخمود والضياع ، ومجهولة عن الابتكارات والإنجازات العلمية الإسلامية التي لعبت دوراً بارزاً في العصور المتأخرة في تطوير الحضارة الأوربية وترقيتها ، ويعترف كثير من المحققين والباحثين غير المسلمين بهذه الحقيقة ؛ كما قال جورج سارتون : (لو لا إنجازات العلماء المسلمين العلمية لاضطر علماء النهضة العربية أن يبدأوا من الصفر ولتأخر سير المدنية عدة قرون) (١٣) "والحق ما شهدت به الأعداء" فتعددت البواعث وتنوعت الأسباب التي دفعت بالمسلمين وشجعتهم على نقل العلوم العقلية إلى اللغة العربية فنستقصي هنا أهم البواعث والحوافز الإسلامية التي لعبت دوراً رئيسياً في نقل العلوم المختلفة والمعارف المتنوعة إلى العربية ، وهي فيما يلي :

ومنها حث القرآن الكريم والحديث الشريف على التفكر والتدبر والتعلم فنجد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الإنسان إلى التفكير في الله تعالى وصفاته من علم وقدرة و وحدانية وما في العالم من ظواهر تثير العقل وتحثه على البحث والنظر في خلق السماوات والأرض وفي تركيب جسم الإنسان والأمور الأخرى الكثيرة فعلى سبيل المثال دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التفكر والتدبر في الله وقدرته في آيات كثيرة ؛ فنذكر منها عدة آيات كغيض من فيض :

(١٣) الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى – للدكتور أحمد عبد الرزاق أحمد ، دار الفكر العربي – القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩١م : ص/٦ .

﴿ أَوَ لَمْ يَنْظُرُوْا فِيْ مَلَكُوْتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَـيْئٍ ﴾ {الأعراف/١٨٥} و ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ مِمَّا خُلِقَ ... ﴾ {الطارق/١٢} و ﴿ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِيْ لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ * وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ * وَكُلٌّ فِيْ فَلَكٍ يَّسْبَحُوْنَ ﴾ {ياسين/٤٠} و ﴿ قُلِ انْظُرُوْا مَاذَا فِـيْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ {يونس/١٠١} و ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْـقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * وَاخْـتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ {الروم/٢٢} و حث على الهجرة للدراسة : ﴿ قُـلْ سِيْرُوْا فِيْ الأَرْضِ * فَانْظُرُوْا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ {العنكبوت/٢٠} ، وكذلك دعا القرآن الكريم لدراسة مختلف العلوم (١٤) ، فجاء في القرآن الكريم عن علم الطبيعة : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * كَانَتَا رَتْقاً * فَفَتَقْنَاهُمَا * وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْئٍ حَيٍّ ﴾ {الأنبياء/٣٠} ، وعن الجغرافية : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ * فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَـاءً * فَأَسْـقَيْنَاكُمُوْهُ ... ﴾ {الحجر/٢٢} وعن علم النبات : ﴿ وَهُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ مِـنَ السَّمَاءِ مَـاءً * فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْئٍ ... ﴾ {الأنعام/٩٩} وعلى كثرة التنقل والسير والسياحة في الأرض مع استعمال العقل والتفكير في كـل مـا تـراه العـين لاستيعاب العلوم واكتساب المعارف والوقوف على ما خلق الله وعلى معرفة قدرته عزّوجلّ ، قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيْرُوْا فِيْ الأَرْضِ * فَتَكُوْنَ لَهُمْ قُلُوْبٌ يَّعْقِلُوْنَ بِهَـا * أَوْ آذَانٌ يَّسْمَعُوْنَ بِهَـا * فَإِنَّهَـا لاَ تَعْمَـى الأَبْصَارُ * وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوْبُ الَّتِيْ فِيْ الصُّدُوْرِ ﴾ {الحج/٤٦} ، وإلى كثير من أمثال هذا تدعو إلى التفكير والفقه وتحض على العلم (١٥) ، وأما الحديث النبوي فنجد أحاديث مختلفة تحض على حصول العلم وتركز الضوء على أهميته

(١٤) خطبات بهاولفور – الدكتور حميد الله ، إدارة تحقيقات إسلامي ، إسلام آباد – باكستان : ص/٣١٢-٣١٣ .

(١٥) المسلمون والعلم الحديث – عبد الرزاق نوفل ، مكتبة طابع : ص/١٩-٣١ ، وأيضاً الإسلام دين الفطرة والحرية – عبد العزيز جاويش ، دار الهلال : ص/١٥٣-١٦٤ .

كقول النبي الكريم ﷺ : "خياركم من تعلم القرآن وعلمه" (١٦) و "من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة" (١٧) .

ومع كل هذا إذا أضفنا إلى ذلك رغبة الإنسان الطبيعية في البحث عن المجهولات أدركنا أن حث القرآن الكريم والحديث الشريف على التدبر والتفكر والتعلم والبحث في الله تعالى وقدرته وفي خلق السماوات والأرض وفي أنفسهم وفي ما حولهم كان من أقوى البواعث التي دفعت بالمسلمين واضطرتهم إلى أن يولوا اهتمامهم بتعلم اللغات الأجنبية ونقل العلوم وترجمتها في الإسلام ، وكذلك كان من العوامل المهمة حاجة المسلمين إلى العلوم العقلية لكي يؤدوا فروضهم الدينية كالصيام والصلاة والحج والزكاة بسهولة ويسر ، وما تساعد على تنظيم شئونهم المالية وضبط حساباتهم فمالوا إلى نقل كتب الرياضيات والفلك إلى اللغة العربية لمعرفة الحساب والتوقيت لضبط أوقات الصلوات وتعيين بدء أشهر الصوم والحج وأول السنة ، وكذلك رغبوا في ترجمة الكتب الطبية إلى العربية لأنهم احتاجوا إلى علاجات جديدة لمعالجة الجرحى في الحروب والأمراض التي تفشت بين المسلمين بعد انغماسهم في الترف والبذخ وتعوّدهم على المآكل الدسمة فاضطرتهم الأمراض إلى أن يهتموا بنقل العلوم الطبية لأن علاجات البادية البسيطة كانت تقوم على الاختبار وحده ولا على العلم والاختبار معاً ، ولم تكن هذه العلاجات البسيطة دائماً ذات نتائج سريعة ، ويبدو أن هذا هو السبب الرئيسي الذي دفع المسلمين أن يهتموا بعلم الطب ويولوا انتباههم إليه من بدء الإسلام وظهوره في جزيرة العرب فنقلوا كتب علوم الطب للفرس والروم والهنود الذين كانوا بارعين في هذا العلم (١٨) .

(١٦) نفس المرجع : ج/٢ ، رقم الحديث/١٣١٧ .

(١٧) نفس المرجع : ج/١ ، رقم الحديث/٨٠٣٥ .

(١٨) تاريخ الفكر العربي – الدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان : ص/٢٧٠ .

الأدب العربي في علاقته بالفكر
في إطار التيارات العالمية

بقلم : الدكتور جمال الدين الفاروقي
Associate Professor WMO College, Muttil

الأدب المقارن فرع من فروع المعرفة ، يتناول المقارنة بين أدبين أو أكثر ينتمي إلى أمة أو قومية غير التي ينتمي إليها الآخر ، وينبغي أن تكون المقارنة من أجل اكتساب نظرة أكثر رحابة و أوسع إنسانية وأعمق حكماً وأقوى انفتاحاً على ما عند الآخرين من آثار الخير والجمال والجلال ، فيتم به معرفة الآخر واستثمار ما لديه من المعطيات الإنسانية ويمكّنه من الاطلاع على ما عندنا من التجارب والخبرات ، وعليه يمكن القول : إن الأدب المقارن يعمل كوسيط بين الشعوب يتفاعل مع أفكارهم ، كما أنه يقوم بتنشيط عملية الأخذ والرد لإثراء الإبداع والتذوق ، والهدف من هذه الدراسة هو خلق الوعي المعرفي بين الجمهور الذي من شأنه توسيع الأفق الثقافي مما يكون هذا الأدب دائم الاحتكاك بالسياق الفكري الذي يعيشه كل الأمم ، وهذه المقالة تستعرض مدى تأثير هذا الاحتكاك في إطار التيارات العالمية .

وقد ظهرت هذه الدراسة في ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر بجمع الآداب المختلفة في أدب عالمي وكأنه يرفده كل أدب ، ولكن المدرسة الألمانية كانت مقصورة على آداب أوربا الغربية و لم تتجاوز إلى إطار الفكر الشرقي بقدر ما يترك فيه بصماتها ، وأما المدرسة الأمريكية فهي تهدف إلى إبراز الاتجاه التاريخي وانتهي بهم الأمر إلى إبراز القيم الجمالية وعلاقتها بالفكر ، ولا يهمهم قضية التأثر والتأثير كثيراً ، كما أن المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن تركز بوجه عام على الصلات التي ثبت وجودها فعلاً بين الشعوب .

الفكر والاحتكاك اللغوي :

وتتميز التأثير الفكري بعلاقة الأدباء باللغات الأخرى ، وقد يتسع نطاق الفكر كلما كان لدى الأديب أكثر من لغة ، ومعظم الأدباء في الجزائر يكتبون في الفرنسية رغم أنهم ليسوا فرنسيين ، والكثير من الهنود يكتبون في الإنجليزية رغم أنهم ليسوا من الإنجليز ، وأدباء أمريكا اللاتينية يكتبون بالأسبانية مع أنهم يحتفظون بهويتهم الوطنية ، وأهل سويسرا لديهم الفرنسية والألمانية والإيطالية للإبداع ، وكذلك الأدباء العرب المقيمون في أمريكا يكتبون أدبهم في الإنجليزية ، والمقيمون في فرنسا يفضلون الكتابة في الفرنسية ، والأدباء الكرد يحبون الكردية لتعبيرهم الإبداعي ، والاحتكاك اللغوي لدى الأديب يخلق مجالاً فكرياً أوسع مما تنطبع خاصيته في إبداعاته ، والأدب العربي المعاصر أصبح بين التأثير الفكري الذي ينتج عن الزخم الإعلامي الوافد والواقع العربي المعقد .

وهناك فروق واضحة بين الآثار الأدبية العربية القديمة والحديثة ، إذ كانت الآثار القديمة مصدر أفكار عميقة تأثر بها الغرب وقاموا بتوليد أفكار مماثلة على منوالها ، يدل عليه ما فعل المفكر الإيطالي (فيكو) متأثراً بأفكار ابن خلدون في مقدمته الشهيرة و وضع أفكاره الاجتماعية في ضوئها ، وكما تأثر المفكر (دانتي) بأبي العلاء المعري وكتب عمله الرائع "الفكاهات الإلهية" الذي يجسد تأثره الفكري برسالة الغفران ، ومسرحية البخيل (لموليير) تعد هي الأخرى معرضاً للتأثير الفكري إذ تأثر صاحبه بكتاب البخلاء للجاحظ .

وكان من المفروض أن تتوجه العربية بكل ما لديها نحو قادم أفضل في مجال الفكر ليكون يومها أروع من أمسها في البناء الذاتي ، إلا أنه حدث بالعكس ، إذ فقدت الأجيال الحاضرة فاعليتها الفكرية والثقافية ، وأصبحوا عالة على الغرب ، وإنما باستعادة المفهوم الفكري الأساسي يُرد عليها تلك السيادة الفكرية ، وعلى حد تعبير الكاتب السوري الشهير السيد خيري الذهبي يمكن القول : "إن الحضارة العربية والإسلامية توقفت عن العطاء الفكري والروحي منذ القرن الرابع الهجري ، وكل ما عاشته بعد ذلك كان

تناسخات لما قبله" (١) ، وقد شهدت الستينيات من القرن الماضي جيلاً أعلنوا القطعية الكاملة أو شبه الكاملة مع التراث الفكري وصاروا يقولون : ما لنا وللكتب الصفراء ، أنا أرفض الكتب القديمة العفنة ، وقال بعضهم : من هذا الجاحظ ؟ لقد اهترأ منذزمن طويل ، الأصفهاني والمبرد ، وهكذا صار لدينا جيل من الكتاب يقرأ مترجمات (سارتر) فيصبح وجودياً ، أو يقرأ مترجمات (ماركيز) فيصير واقعياً .

وقد اتسع نطاق الفكر في هذه الأيام التي تعد المثاقفة من أبرز معالمها ، وهي تقوم على النية والاحترام والتسامح والاعتراف بخصوصية الآخر ، وهذا خلاف للغزو الثقافي الذي يحمل في طياته معاول الهدم والدمار للشعوب التي تتعرض لاستعمار الأجانب وسيطرتهم كما تم ذلك أيام الاستعمار والاحتلال الأوربي في البلاد الشرقية ، ومفهوم المثاقفة يبلور في قول السيد (مهاتما غاندي) وهو يقول : إني أفتح نوافذي للشمس والريح ، ولكنني أتحدى أية ريح أن تقلعني من جذوري .

المدارس الفكرية الجديدة ومدى تأثيرها :

وجميع المصطلحات التي شاعت في مجال الأدب تبلور مدى تأثير أصحابها بأفكار الآخرين ، فالمذهب الاتباعي يستمد أفكارهم من فلسفة (أرسطو) التي تتمثل في إخضاع العاطفة والخيال لسلطان العقل ، وبعبارة أخرى يمكن القول : إنهم يهتمون بالتعبير الأدبي عن الاتجاه العقلي ، والمقارنة التي قام بها العقاد والمازني بين الشعر والفلسفة تأتي تجسيداً لهذا الفكر ، وأما الاتباعي الجديد (الكلاسيكية الجديدة) الذي له رواج طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فإنه يأتي وليداً لأفكار الفلاسفة من أمثال (ديكارت) ، وكانت (وهيغل) ، تبنّى فكرهم من تجريد الأدب من القيم والأخلاقيات والتجاوب مع طبيعة التطورات الاجتماعية المستجدة ، وظهرت بواكير الثورة

(١) الرواية العربية – ممكنات السرد : ص/٢٠٤ .

الإبداعية (الرومانتكية) مقابل الاتباعية مع حلول القرن التاسع عشر ، جاء ذلك كرد فعل ضد سيطرة العقل الجافة وعبودية القواعد العامة ، واستمد أفكارهم من رؤية الفيلسوف (جان جاك روسو) المتمثلة في تعظيم الفرد وتمجيد مهاراته والتغلب على العبودية الاجتماعية والقسر الفكري ، وفي منتصف القرن التاسع عشر سادت الأفكار العلمية وكادت تغلب على المفهومات الفلسفية مما نتج عنه المذهب الواقعي ، كما ساعد على ظهوره التطورات الاجتماعية في أوربا وقتئذ .

ويوجد في السياق الفكري الذي يؤثر في الأدب اتصالات فردية مباشرة مثل ما حدث في شأن رفاعة الطهطاوي ومحمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم ، وقد ذهب كل واحد منهم إلى أوربا لدراسة العلم لا الأدب ، ولكن كانت لهم طريقتهم الشخصية في التفاعل مع الأدب الأوربي والفكر الأوربي ليكونوا محل إعجاب وتقدير في الأدب العربي ، إذ يعتبر الطهطاوي أبا للنهضة الأدبية العربية ، كما تصدى محمد حسين هيكل بصناعة أول رواية فنية عربية وكما أصبح توفيق الحكيم واحداً من أبرز مؤسسي المسرح العربي ، والمدرسة المهجرية تبقى هي الأخرى مثالاً للتجارب الفردية بالتأثير الفكري ، ومعلوم أن هذه المدرسة ازدهرت في أمريكا في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، ويشكل أصحابها ظاهرة فريدة في الأدب العربي ، ومنهم جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي ورشيد سليم الخوري وغيرهم كثير ، ممن تأثروا بالفكر الجديد ، ونقلوا إلى الأدب العربي أصداء أدبائها من أمثال لونغفلو ، وثورو ، وإمرسون ، و ويتمان ، وردزورث وبليك .

وتجدر الإشارة في هذه المناسبة إلى الأيديولوجيات التي هي قناة فكرية هامة ما زالت مطلة على الثقافة العربية منذ أوائل عصر النهضة ، فالمستند الأيديولوجي لكل كتاباتنا الأدبية الحديثة هو مستند خارجي منقول أو مقتبس إما من الغرب الأوربي الديمقراطي وإما من الشرق الأوربي الشيوعي ، ويمكن القول : إن أكثر التيارات الأجنبية تأثيراً في الأدب العربي المعاصر هو التيار

الإيديولوجي ، والناقد الكبير الدكتور إحسان عباس يجعل اتجاهات التفكير في خمس نقاط : الموقف الزمني ، والموقف المدني ، والموقف التراثي ، والموقف من الوجداني ، والموقف من الاجتماعي ، إلى جانب هذا بدأت ظاهرة التعددية في الثقافة والرؤية تسيطر على الإطار الفكري لدى الأدباء ، وهذه الظاهرة أيضاً من وليدة العصر الذي نعيشه ، ويختلف ملامحها الفكرية حين تختلف طبيعتها ، وخصوصاً في ظل العولمة التي تتمثل في التطورات العملاقة التي حصلت في مجال التكنولوجيا الإعلامية والمواصلات ، والأدباء في هذه الأيام يفضلون العيش في خضم التوترات التي تخلقها هذه التعددية ، ويريدون استثمار هذه التوترات بشكل إبداعي (٢) ، كما يبدو ذلك جلياً في أعمال الروائي الكبير نجيب محفوظ ، وهو متأثر في وقت واحد بعدة عوامل : الفرعونية والمصرية والعربية والغربية والاشتراكية والماركسية ، ومن هذه العوامل المتضاربة نهض بإبداعاته الروائية ، فهي لحمتها وسداها ، و يقول الناقد العربي المشهور أحمد عباس صالح : إن نجيب محفوظ ربط الشكل بالمضمون ونفي تجديد الشكل وأكد أن الفكر الجديد ضروري لتوليد الشكل الجديد .

ولعل الخضوع لهذه التوترات الاجتماعية أدى بالروائيات مثل ليلى العثمان وغادة السمان وطلعة الرفاعي وليبية هاشم إلى أن يسلكن مسلكاً غريباً في إبداعاتهن ، إذ نراهن يجهرن بالقضايا الأنثوية التي لا يجهر به الأدباء الرجال.

المراجع :

١- الأدب العربي المقارن وصبوة العالمية – د/حسام الخطيب .

٢- اتجاهات الشعر العربي المعاصر – د/إحسان عباس .

٣- الرواية العربية – ممكنات السرد . ٤- التنوير الآتي من الشرق .

***

---

(٢) التنوير الآتي من الشرق : ص/٢٠٩ .

أثر الحديث النبوي في اللغة والأدب (٢)

بقلم : الأخ محمد محامد حسين الندوي
الباحث للدكتوراه بجامعة جواهرلال نهرو (دلهي الجديدة)

أثره في الأدب العربي :

وأما الأدب العربي فإنه قد اكتسب بفضل الحديث النبوي خصائص جديدة كثيرة لم تكن له من قبل في زمن الجاهلية ، وتتجلى هذه الخصائص في أكثر الفنون التي عالجها شعراً ونثراً ، لاحظ واحداً فواحداً :

أولاً – في الخطابة :

بتأثير الحديث النبوي حملت الخطابة العربية من مميزات جديدة كثيرة أهمها :

= زوال أنواع من الفنون الخطابية التي كانت معروفة في الجاهلية كالمنافرات والمفاخرات والتعصب القبلي ، وإثارة الحزازات والأحقاد ، والتفاخر بالأنساب والأحساب .

= شيوع الطابع الديني والاستعانة بروح معاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية وبألفاظها أيضاً .

= انصراف الخطابة عن اتخاذ السجع أساساً لها ، فالذي يقرأ خطب النبي الكريم ﷺ وخطب خلفائه الراشدين يجدها مختلفة عن الخطب والأقوال الجاهلية المسجعة ، وذلك لأن النبي الكريم ﷺ كان يكره الكلام المسجع والإتيان فيه من التصنع والتكلف .

= ازدهار الخطابة الدينية ، وخطب المحافل والوفود ، أما الخطب الدينية فالباعث عليها كما رأينا سنة النبي الكريم ﷺ فإنه قد كرسها واجبة يوم الجمعة والأعياد للوعظ وهداية المسلمين وإرشادهم وتبصيرهم بأمور دينهم ،

وبمثل ما دعت الحاجة إلى كثرة الخطب الدينية دعت أيضاً إلى كثرة الخطب المحفلية ، وخطب الوفود التي كانت تفد على النبي الكريم ﷺ وخلفائه فيتقدمها الخطباء ، ويتكلمون إما إعلاناً لإسلامهم و ولائهم ، أو عرضاً لشأن من شئونهم المهمة ، أو تهنئة أو تعزية أو غير ذلك ، ويستخدمون فيها كثيراً من مقتبسات الأحاديث النبوية ﷺ .

= ومن تأثير الأحاديث النبوية انطباعها باللين والهدوء حيث تحترم القوم المخاطبين ، وتدعوهم إلى المشاركة الحرة في القول والعمل ، وتنصح بالتسامح والمحبة والعطف ، وتجعل الناس متساويين في حقوقهم و واجباتهم ، وهذا ما نراه في خطابة النبي الكريم ﷺ بصورة عامة ، ومن هنا عمت تلك الخصائص في خطب الآخرين فيما بعد ، لاحظ ما قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه يوم تولى الخلافة : "أيها الناس ! لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، من رأى منكم في أعوجاجاً فليقوّمه ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم" وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الرغم من اتصافه بالشدة والحزم ، فإنه كان رفيقاً بالمخاطبين يحترمهم ، ويريهم إلى جانب حزمه ضروباً من العطف واللين .

= عدم اشتمالها على شئ من الشعر ، وإنما كانت نثراً بكاملها في حين أن الخطابة الجاهلية كانت مزيجاً من شعر ونثر ، وكان الجاهليون يذهبون إلى أنها ضرب من ضروب الشعر ، أما السبب في ابتعاد الإسلاميين عن الشعر في خطابتهم فمرده على الغالب إلى تحاشي النبي الكريم ﷺ عن قول الشعر أو التمثل به ، وعلى خطى النبي الكريم ﷺ سار الخلفاء الراشدون والصحابة في خطابتهم فلم يتمثلوا بالشعر و لم يستخدموه .

= استمدادها من الأحاديث النبوية في الإقناع والاحتجاج والاستدلال والمجادلة ، وفي تكوين المضمون من أفكارها ومعانيها ، وفي التعبير من ألفاظها وتراكيبها ، فكان الخطباء – و لم يزالوا – يوشحون كلامهم كثيراً بالأحاديث

النبوية ، ويأتون فيها بفقرات قصيرة ، وتناسق مفصول اتباعا لخطب النبي الكريم ﷺ .

= اتخاذها نهجاً خاصاً في البدء والختام ، فكانت تبدأ بالبسملة والحمدلة وبالصلاة والسلام على رسوله وإلا سميت "بتراء" وتوشح بآيات من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية وإلا سميت "شوهاء" وتختم بكلمات الدعاء والاستغفار .

= ومن أثرات الأحاديث النبوية أن ظهرت في أسلوب الخطابة بعض السمات التي تنجم عن قوة العاطفة وشدة إيمان الخطيب بما يقول وحرصه على إقناع المخاطبين برأيه واستمالتهم إليه وتقرير الفكرة في نفوسهم ، كاللجوء إلى أساليب التوكيد المختلفة من تكرار وقسم واستعانة بأدوات التوكيد ، نجد مثلاً في خطبة الوداع تكرار عبارة "ألا هل بلغت ، اللّهم فاشهد" فجعل يتبعه بعدئذ الخطباء الآخرون آخذين التأثر من هذا الأسلوب ، من أمثلته تكرار الحباب بن المنذر في خطبته يوم السقيفة بعبارته : "أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة" وتكرار علي رضي الله عنه في خطبة له يستنفر بها قومه لقتال معاوية ﷺ بقوله : "أما والله لئن ظهروا عليكم بعدي لتجدُنّهم أرباب سوء ، كأنهم والله قد شاركوكم في بلادكم ... إلخ .

= ومن الأثرات التي قبلها فن الخطابة بالأحاديث النبوية ، العفوية وإيضاح وحدة الموضوع وترابط الأجزاء ببعضها البعض ، وإحكام الصياغة والنسج ، والاهتمام بالإيجاز وقصر الفقرات ، فالنبي الكريم ﷺ لم يكن يطيل الوقوف فوق المنبر ، ولا كان توخى التفنن في كلامه ، وإنما كانت العفوية هي المتوخاة ، فمهمه الأول .كان أداء الفكرة من غير تنميق أو صناعة أو سجع ، هذه الأثرات تتجلى واضحاً فيما بعد في خطب الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

ثانياً – في الشعر :

من يرجع إلى مصادر الأدب يستقر في نفسه أن الشعر ظل مزدهراً في صدر الإسلام ، وليس بصحيح ، إنه توقف أو ضعف كما ظن ابن سلام في

كتابه : "طبقات الشعراء"(١) وتبعه آخرون ، والحق أن أمر النبي الكريم ﷺ لم يردّ العرب عن الشعر ونظمه ، بل على العكس ، ولعلي لا أبالغ إذا قلت : إن أمر النبي الكريم ﷺ قد أذكى جذوة الشعر وأشعلها إشعالاً ، فإن أحداثه حلت من عُقد الألسنة وأنطقت بالشعر كثيرين ممن لم يكونوا ينطقون به ، فإذا بنا نجد مكة التي لم تعرف في الجاهلية بشعر كثير ، يكثر شعراؤها وإذا بنا إزاء عشرات الشعراء في الفتوح الإسلامية لم يشتهروا بالشعر ونظمه قبل الإسلام وفتوحه ، مثلاً : أبو سفيان بن الحارث ، وعبد الله بن الزبعري ، وضرار بن الخطاب الفهري ، والحارث بن هشام بن المغيرة ، وهند بنت عتبة ، وقتيلة بنت الحارث ، وصفية بنت عبد المطلب وغيرهم ، فإنهم لم يعرفوا بالشعر قبل الإسلام ، وأمر النبي الكريم ﷺ هو الذي سبب خوضهم في مجال الشعر ، هذا – وقد اتخذه رسول الله ﷺ سلاحاً ماضياً ضد خصومه من مشركي قريش وأعداء رسالته إذ كان يرى أن وقع نبله أشد عليهم من وقع الحسام ، فجعل الشعراء على ثغرة من ثغور أمره لا يسدها إلا هم وأمثالهم من الأدباء ، وكان يعجب بالشعر الذي لا يخالف الإسلام ، أو الشعر الذي يدافع عن الإسلام ويلتزم بمبادئه ، وقد أبدى إعجابه بروائعه بقوله : "إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة" وكان يحض حسان بن ثابت وغيره على نظمه ويثيبهم ، وحسبنا دليلاً أن أعداءه كانوا يتخذون الشعر وسيلة لاسترضائه وعفوه عنهم ، وقد مضى الخلفاء الراشدون على سنة رسول الله ﷺ ونهجه في تمييزهم بين شعر وشعر ، فما كان حسناً ومفيداً شجعوا على قرضه وحفظه وروايته وما كان رديئاً فاسداً عاقبوا عليه ، وما كانوا يرون بأساً من أن يقولوا الشعر بأنفسهم ، فقد رووا لأبي بكر رضي الله عنه قصيدة حماسية قالها في بعض الغزوات ، ورووا لعمر رضي الله عنه أبياتاً في الحكم ونحوها ، وكذلك لعثمان رضي الله عنه ، أما علي رضي الله عنه فالمروي من شعره كثير بعضه قاله في صفين ، وليس بين الصحابة من لم يقل الشعر أو يتمثل به (٢) وقد اشتهر

(١) لاحظ على ص/٨ .
(٢) تاريخ الآداب للغة العربية لجرجي زيدان : ١٩٢/١ .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه كثيراً ما كان يسأل وفود القبائل عن شعرائهم ، فينشدونه وهو يشيد بهم معجباً مستحسناً ، حتى قيل عنه : إنه كان لا يكاد يعرض أمراً إلا أنشد فيه بيت شعر ، بل كان ناقداً ذواقة للشعر وقد اشتهر عنه أنه كان يفاضل بين الشعراء ، وقد فضل زهيراً لأنه كان لا يعاضل في الكلام ولا يمدح أحداً بما ليس فيه .

وربما جاءت شبهة إصغار العرب الإسلاميين للشعر من مهاجمة القرآن للشعراء بقوله تعالى : (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُوْنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِيْ كُلِّ وَادٍ يَّهِيْمُوْنَ * وَأَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ مَا لاَ يَفْعَلُوْنَ ...) (١) ومن ترهيب النبي الكريم ﷺ بقوله : "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً" (٢).

فالقرآن أو الحديث النبوي لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر ما دام ملتزماً بعقيدة الإسلام ومبادئه منافحاً عن الرسول ودعوته بدليل قوله تعالى في الآية نفسها "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" وإنما كان يهاجم الشعراء الذين يهجون الرسول وصحابته ويفترون الكذب على الله ورسوله والمؤمنين بدليل قوله تعالى : (أَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ مَا لاَ يَفْعَلُوْنَ) وأما مدلولات الحديث فواضحة بما استدركتها عائشة رضي الله عنها ، وأهم الأثرات التي تناولها الشعر العربي من خلال الأحاديث النبوية هي :

= كثرت فيه النزعات الإسلامية عامة ، فمن يقرأ في شعر المخضرمين متصفحاً ما نثر في كتب الأدب والتاريخ يجد جمهور الشعراء في جوانب من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحية التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم ، ولشعراء المدينة القدح المعلى في هذا الميدان ، فهم الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ منذ نزوله بين ظهرانيهم ينافحون عنه ويدافعون عن دعوته ، يتقدمهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وكان

(١) الشعراء/٢٢٤-٢٢٧ .
(٢) "الكامل في ضعفاء الرجال" لأبي أحمد بن عدي الجرجاني ، رقم الحديث/٩٠٣ ، ولكن السيدة عائشة رضي الله عنها رفضت هذه الرواية ، وارتاعت لها عندما سمعتها ، وقالت : "لم يحفظ أبو هريرة الحديث ، إنما قال رسول الله ﷺ : "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به" (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة رضي الله عنها على الصحابة – للزركشي : ص/٦٧) .

عبد الله بن رواحة خاصة دائم الاستمداد من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، يستلهمهما في كل ما ينظم من أشعار على شاكلة قوله :

شهدت بأن وعـــد الله حق *** و أن النار مثوى الكافرين

وكان بجانب هؤلآء شعراء آخرون لم يبلغوا في الشهرة ، كأبي صرمة بن أنس الأنصاري ، فيقول في قصيدته :

و نعلـــم أن الله لا شئ غيره *** و أن كتـــاب الله أصبح هاديا

وكأبي الدرداء فهو يقول :

يريـد المـرء أن يـؤتـي مناه *** و يأبـــى الله إلا مـــا أرادا

يقـــول المرء فائدتي و مالـي *** و تقوى الله أفضل ما استفـــادا

= كثر فيه القصد إلى المواعظ التي تحث على مكارم الأخـــلاق وعلـــى التمسك بالآداب التي نفحهم بها القرآن والحديث النبوي مثل التقوى والورع والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والقناعة والتصدق بالمال ... وقـــد تـــأثر بذلك الشعراء كثيراً حتى الذين لم يكونوا في الأصل أهل تقى و ورع وتدين ، كالحطيئة مثلاً ، هو يقول :

و لست أرى السعادة جمع مال *** و لكن التقيّ هـــو السعيد

و تقـــوى الله خير الزاد ذخرا *** و عنـــد الله للأتقـــى مـــزيـــد

= قلّ الشعر من أنواعه الفاسدة الماجنة مثل التغزل الإباحي والنـــسيب الفاحش والهجاء المقذع والتفاخر بالأنساب ، وقد عاقب الخلفاء بكـــل مـــن ينظم الشعر ويأتي فيه بالفواحش أو الهجاء أو المنافرات القبلية أو غير ذلـــك ، من هذا القبيل كان حبس عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة لإســـرافه في الهجو والذم .

= اندثر فيه الفخر بالأنساب والأحساب والقبائل ، وحل محله الفخـــر بالإيمان والإسلام وبالرب – جل جلاله – والرسول الحبيب ﷺ ، فمن يقـــرأ مثل قصيدة سويد بن أبي كاهل ، يجد فيها فخراً لا عهد لها به قبل الإســـلام

وهو فخر إسلامي ، أنظر كيف افتخر سويد بن أبي كاهل في قصيدته بـــذكر الله سبحانه وتعالى وما أنعم على الناس من نعمه ؛ فيقول :

كتب الرحمن و الحمد لـــــه *** سعةَ الأخلاق فينا والضّلع (١)

و بناء للمعالي ، إنمـــــا *** يـــرفع الله و من شاء وضـــع

نعمّ الله فينـــــا ربّهـــا *** وصنيع الله ، و الله صَنَع (٢)

= وقف تيار المدح التكسبي ، ذلك لأن سيطرته التي كانت له من قبـــل فقدت بأثر تعاليم الأحاديث النبوية السمحة ، وإنما عاد إلى جوهره الأصلي ، ينشد إعجاباً بالممدوح أو اعترافاً بجميله بقدر ما يوجد في الممدوح ، وأصـــبح الناس ينظرون إلى المداحين المتكسبين بنظرة احتقار ، لأنهم يـــزورون القـــول ويكذبون ويتزلفون ويبالغون بالمدح ويريقون ماء الوجه في ســـبيل العطـــاء ، وعنهم قال النبي الكريم ﷺ : "إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب" فبذلك مخافة أو مستنكراً لنفاق المادح قال عمر رضي الله عنه : "رحم الله امرأً أهدى إلي عيوب نفسي" .

= بفضل تعاليم الأحاديث النبوية أو القرآن الكريم ظهـــرت في الـــشعر العربي موضوعات جديدة لم تكن له من قبل كموضوع القدر ، واليوم الآخر، والبعث ، والحساب ، والجنة ، والنار ، استمع إلى الحافظ بن أحمد بن علـــي الكمي رحمه الله كيف هو يتغنى في هذه الموضوعات :

و تأخـــذ إما باليمين كتابهـــا

إذا أحسنت أو ضـــد ذا بشمالها

و يبدو لديها ما أسرت و أعلنت

و مـــا قدمت من قولها و فعالها

---

(١) الضلع : الاصطلاح بالأمور ، ويقال اضطلع بالأمر : قوي عليه .

(٢) ربّها ، بفتح الباء وتشديدها ، أصلحها وأتمها ، صنّع : حاذق في الصنعة .

بأيدي الكرام الكاتبين مسطـــر
فلم يغن عنها عذرها و فعالهـــا
هناك تدري ربحها و خسارهـــا
و إذ ذاك تلقى ما إليه مآلهـــا
فإن تك من أهل السعادة و التقى
فإن لها الحسنى بحسن فعالهـــا
تفوز بجنات النعيم و حـــورها
و تحبر في روضاتها و ظلالهـــا
و ترزق مما تشتهي من نعيمهـــا
و تشرب من تسنيمها و زلالها
و إن تكن الأخرى فويل وحسرة
و نار جحيم مـــا أشد نكالها
لهم تحتهم منهـــا مهاد و وفوقهم
غواش ، ومن يحوم ساء ظـــلالها
طعامهم الغسلين فيها و إن سقوا
حميماً به الأمعاء كان انحلالهـــا
أمانيهم فيهـــا الهلاك و ما لهم
خروج و لا موت كما لا فنا لها

وإلى عبد الله بن رواحة حيث إنه ينشد بقوله :

أنت النبي ، و من يُحرم شفاعَتَه
يوم الحساب فقد أزرى به القدر

= ومن تأثير الأحاديث النبوية على الشعر أنه قد صار أكثر رقة وعذوبة وأسهل فهماً من الشعر الجاهلي ولعل فيما ذكرناه من أبيات الحطيئة وكعـــب ابن زهير ما يشهد على ذلك ، فألفاظه مألوفة في السمع ومعانيـــه واضـــحة

وتراكيبه مشرقة ، وقد كان السبب في ذلك أن التعاليم النبوية قد رقت مـــن طباع الشعراء ، وصقلت أساليب القرآن والبلاغة النبوية أذواقهم ، فكانت لهم هدياً في رقة التعبير وعذوبته .

= ولم يقتصر تأثر الشعر بالأحاديث على المعاني والأغراض ، وإنما تعدى ذلك إلى بنية الشعر وألفاظه ، فإن الشعراء اقتبسوا من الأحاديـــث والقـــرآن تعابير ومفردات وأدخلوها في شعرهم ، كقول صرمة بن أبي أنس :

يا بني الأرحام لا تقطعوهـــا *** وصلوها قصيرة من طـــوال
و اتقوا الله في ضعاف اليتامى *** ربمـــا يستحل غير الحلال

فقوله : بني الأرحام ، لا تقطعوها ، وصلوها ، اتقـــوا الله ، الحـــلال ، وفي الأبيات المذكورة للحافظ بن أحمد وعبد الله بن رواحة : الكرام الكاتبين ، وجنات النعيم ، وحورها ، ونار جحيم ، وطعام الغسلين ، وشـــفاعة الـــنبي الكريم ﷺ ، ويوم الحساب ، والقدر وغيرها ، ألفاظ من الأحاديث النبوية أو القرآن الكريم أخذت بحرفيتها تقريباً .

وكقوله ﷺ : "إن لم تستح فاصنع ما تشاء" فقال أبو تمام مقتبساً منه :

إذا لم تخش عاقبة الليالـــي *** و لم تستح فاصنع ما تشاء

وكذلك قوله ﷺ : "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقـــل خـــيراً أو ليصمت" ؛ فيقول ابن الدهان الموصلي في مضمون هذا الحديث :

حفظ اللسان عن القبيح أمـــان *** يزكو به الإسلام و الإيمـــان
و إذا جنايات الجوارح عددت *** فاشدهـــا يجني عليك لسان

ثالثاً – في الكتابة والنثر الفني :

الكتابة في الجاهلية كانت قليلة ، وقد أخذت بالانتشار مـــع الإســـلام ولكن نطاقها ظل محصوراً في المراسلات والعقود والعهود ، ولذلك لا أستطيع أن أتحدث عن كتابة فنية راقية أيام النبي الكريم ﷺ وعن ما للأحاديث النبويـــة من أثرها عليها إلا أنا أستطيع أن أقول أن القيمة التي وصل إليها الأدب العربي

الآن من حيث أصالة الأفكار ورصانة الأساليب لم يتحقق إلا بالقرآن المعجز والحديث النبوي البليغ ، وقد تميزت بفضل تأثيرها رسائل وكتابة الإسلاميين ببعض الخصائص ، منها : ابتداؤها بالبسملة ، وحمد الله ، واختتامها بالسلام على المرسل إليه أو بالاستدعاء من الله تبارك وتعالى ، وخلوها من ألفاظ التفخيم والتعظيم ، واتسامها من حيث المعنى بالعمق ودقة الملاحظة والشمول الإنساني ، وحذوها حذو القرآن والأحاديث في الجزالة والبعد عن الغرابة وإطالة الجملة وعدم تعقدها ، والبعد عن التكلف والتفكك ، وكثرة الاستلهام والاقتباس والاستشهاد وما إلى ذلك .

خلاصة البحث :

الحديث النبوي هو وسيلة الرسول الحبيب ﷺ لبيان القرآن الكريم وإبلاغ رسالة ربه عزوجل إلى الناس ، وقد اقتضت المشيئة الإلهية أن يكون في الذروة من البلاغة البشرية ، وطبيعياً لقد ترك إلى جانب القرآن الكريم من خلال مهمته الجليلة الأثر البالغ في اللغة والأدب ، ترك هذا الأثر مثل أثر القرآن العظيم فيهما ، إلا أنه – رغم صدروه عن أبلغ العرب وأفصحهم – يأتي أثره في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ، لأنه دونه في البلاغة ، فمن حيث اللغة أثّر بأنه ساعد على توحيدها وحفظها وانتشارها وتوسيع نطاقها ، وأمدها بمعان جديدة كثيرة ، كما أنه هذبها من الغرابة والخشونة ، وأضاف إليها كثيراً من مصطلحات جديدة ذات دينية واجتماعية ، ومن جهة الأدب نظماً ونثراً أثر بأن الشعراء والأدباء انصرفوا عن أغراضهم المذمومة القديمة الجاهلية إلى الأغراض النبيلة الكريمة الإنسانية ، كما أنه أثر بعامل الاقتداء به والاقتباس منه والاستخدام والانتفاع بأفكاره البالغة وأساليبه المبتكرة السائغة وبتراكيبه الفنية الجديدة ، فاستلحمه واستخدمه الأدباء والشعراء والكتاب كثيراً في كلامهم وإنتاجاتهم الأدبية ، وهو لم يزل حتى يومنا هذا منهلاً عذباً ومصدراً فياضاً لهم .

صور و أوضاع :

قضايا المسلمين في العالم ومسئولية الدول الإسلامية

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

يمر المسلمون بمحنة إثر محنة في مختلف أنحاء العالم؛ محنة في الدول التي يعيشون فيها كأغلبية، ومحنة في الدول التي يعيشون فيها كأقلية، محنة ناتجة عن كوارث طبيعية كالمجاعة والسيول والزوابع والزلازل والهزات الأرضية وحوادث، ومحنة بسبب الصراعات بين مختلف الفرق والطوائف الناشئة على أساس العصبيات العنصرية والإقليمية التي كان المسلمون أبعد الأمم عنها، وحاربها الإسلام واقتلع جذورها، ولكن المذاهب الفكرية المعاصرة والتربية الأوربية والحكم الأجنبي قد غرس بذور الشقاق في أرض المسلمين، فأصيب المسلمون بأدواء الأمم الأخرى، وهناك محن تنشأ بسبب الصراع بين الحكام وأفراد الشعب لقيام حكومات عسكرية جاءت إلى الحكم بالثورة في الخمسينيات بإسقاط الحكومات التي قامت بعد الاستقلال باسم إصلاح ما أفسدته النظم السابقة، لكنها تحولت إلى حكم فردي بعد مدة، وبقي حكامها في الحكم بالانتخابات المزورة، وقامت بقمع حركات الإصلاح، وكانت فريستها الحركات التي تمثل مشاعر الأغلبية الإسلامية، فواجه قادة المسلمين صعوبات وشدائد من أسر وتعذيب ومطاردة لمن طالب منهم بإصلاح الظروف، وفرضت قيود على حرية الرأي وعقوبات شديدة لمن خالف قوانين الإكراه؛ فلا تطيب حياة المسلمين في بلادهم في ظل هذه الحكومات التي تخضع لسيطرة الدول الأوربية المعادية للإسلام أو للأفكار

والمذاهب المعادية للدين والأخلاق .

أصبح المسلمون مستهدفين للشدائد والمآسي في العالم كله سوى بضع دول تبدي اهتمامها بالإسلام والمسلمين، ومن المأساة الكبرى أن بعض دول العالم الإسلامي رغم النسبة إلى الإسلام والمسلمين تحاول إخفاء هذه النسبة، وتخجل في ظهور اتجاهها أو ميلها إلى الإسلام أو المسلمين، فإذا حدثت فتنة في أي بلد وكان عرضتها المسلمون أو إذا أهين الإسلام ومقدساته فلا تستطيع هذه الدول أن تعبر عن مشاعرها بصفتها دولة الأغلبية الإسلامية، ولا ترفع صوتها ضد المأساة التي يتعرض لها المسلمون؛ لأنها تخاف أن تتهم بانحياز إلى المسلمين أو الانتماء إلى الإسلام، وتعتبر رجعية بذلك، فتمر وقائع وتصريحات مهينة للمسلمين وللإسلام ومقدسات المسلمين بدون أن يكون لها وقع على نفوس قادة المسلمين، أو رد فعل، أو تأثير على السلوك مع المهاجمين على الإسلام والمسلمين، كذلك إذا تعرض بلد من بلاد المسلمين لاعتداء، أو لسياسة استبدادية، أو ظلم على الشعب المسلم،أوخطر لسلامة البلاد،أو لعقيدة سكانها، فلا يؤثر ذلك على موقف الحكام المسلمين، ولا يثير غيرة فيهم، فيعيش بذلك الشعب المسلم منقطعاً ومنعزلاً عن إخوته المسلمين في بلد آخر، وقد جاء في الحديث الشريف:" عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجلٌ يا رسول الله: أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال تحجزه ــ أو تمنعه ــ الظلم فإن ذلك نصره " (رواه البخاري) و "عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" (رواه البخاري).

و "عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(رواه مسلم) وقد خلد التاريخ الإسلامي أمثلة للنجدة وإغاثة المظلوم، وقصة الحجاج بن يوسف الثقفي، وقصة المعتصم، والزنكي، وصلاح الدين من هذه القصص التي ظهرت فيها الغيرة الإسلامية، وتغير بها مجرى التاريخ .

إن هذا الوضع مسئول إلى حد كبير عن جرأة الأعداء على الإسلام والمسلمين فقد وقعت خلال بضع سنوات ماضية عدة مآسي، وكان المسلمون هدفاً رئيسياً لها وسكتت الدول الإسلامية على هذه المآسي، فازدادت قسوة أعداء الإسلام، وعلموا أنهم يتمتعون بحرية تامة في سلوكهم مع المسلمين، وقد كانوا يعتبرونهم أمة عالمية واحدة، فعلموا في هذا العصر ذي النزعة العلمانية والقومية والوطنية والاقليمية أنهم شعوب وجاليات إقليمية.

كان المسلمون قبل غزو القومية و الوطنية و الإقليمية في عزة وكرامة ، وكانت لهم قوة ترعب العالم ، فقد كان المسلمون في قلة قليلة في بعض البلدان؛ ولكنهم كانوا يعيشون في احترام ، وكانت مصالحهم مصونة.

كان لا يتجرأ أحد أن يمسهم بسوء خوفاً من عواقب هذه الإساءة؛ فقد تعرض المسلمون لمجزرة في طرابلس الغرب فقامت عاصفة في الهند، و تعرض المسلمون للمآسي في دول البلقان فهب المسلمون في الهند ودول آسيا وإفريقيا بإبداء العطف عليهم،ورفعوا أصواتهم ضد هذا الاعتداء،و تعرضت تركيا للهجوم الأوربي؛ فقامت حركة الخلافة في الهند، وهي من أقوى الحركات التي ظهرت في تاريخ الهند، وتولدت منها حركة تحرير

البلاد من الحكم الإنجليزي، ويعترف بذلك المؤرخون في الهند، كذلك تعرضت بعض البلدان الإسلامية للاحتلال ففاضت قرائح الشعراء، وتحركت أقلام الأدباء، وألسنة الخطباء للتنديد بهذا الاحتلال، وعرض الغير من المسلمين نفوسهم للنجدة، فكان المعتدى يفكر ألف مرة في الاعتداء على المسلمين، وإذا حدثت حادثة وجدت قوة رادعة، فكانت هذه الحادثة مؤقتة ومحدودة وإقليمية .

لقد ضعفت أواصر الأخوة الإسلامية، وضعفت الحمية الدينية في هذا العصر، ولغياب هذا الارتباط بالمسلمين أصبح المسلمون في كل بلد منعزلين عن إخوانهم، وخرجت هيبتهم من النفوس، وصاروا كما جاء في الحديث الشريف:" كالشاة في الليلة المطيرة" .

ملأ الإعلام الغربي العالم بالصراخ والعويل على ظهور الاتجاه الإسلامي في الجمهوريات الإسلامية ذات الأغلبية الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق، وأبدى مخاوفه بتصعد النزعة الدينية وما يتشكل في ذهنه من الخطر الذي يواجه الأقليات غير الإسلامية في هذه الدول، فتغيرت سياسة الانفتاح للإسلام في هذه الدول التي خرجت من قبضة الاشتراكية وعادت إلى سياستها القديمة لقمع الحركة الإسلامية حتى فرض القيود على الصلاة وتدريس القرآن الكريم .

وفي سوريا اليوم تستمر المجزرة البشرية والمأساة الإنسانية التي لا يوجد لها مثيل في التاريخ المعاصر، بالإضافة إلى السخرية والازدراء بعقيدة الأغلبية المسلمة المتمسكة بدينها، فقد كان بلد الشام حصناً من حصون الإسلام،وفي هذا البلد الإسلامي تثار نعرات الإلحاد والثورة على الإسلام علناً منذ أربعين سنة، والإعلام الغربي يغض بصره؛ لأن الذين يواجهون هذه المأساة ينتمون إلى حركة إسلامية، ولا تتجرأ دولة إسلامية على

التدخل لوقف هذه المأساة، وما هو أسوأ منه أن منظمة الدول الإسلامية قد فقدت تأثيرها، بل وقع وجودها في مثل هذه الأوضاع، ذلك لأن كل بلد له مصلحة سياسية أو قومية .

إن الإعلام العالمي يثير ضجة إذا تعرض رجال الأقلية غير الإسلامية في أي بلد إسلامي لأي مشكلة؛ فيضخم الأحداث، وتوجه الدول الأوربية الضغط إلى هذه الدولة الإسلامية، ولكن الأحداث المؤلمة في مختلف أنحاء العالم والغارات المدبرة على المسلمين والمذابح التي تجري لإبادة المسلمين وتدمير مؤسساتهم لا تنال أي اهتمام او عناية فضلاً عن كلمة عطف و إبداء مشاعر إنسانية من دعاة الحضارة والحقوق الإنسانية .

إن الأحداث في سوريا وغزة لا تقع في مناطق منعزلة عن العالم، وإنما تقع على مشهد من وسائل الإعلام العالمي، ولكن الصحافة العالمية وأكثر من ذلك الأمم المتحدة التي تتحرك لمسألة دقيقة إذا أرادت الدول الكبرى، لا تبالي بهذه الأحداث المؤلمة التي تؤدي إلى معاناة ألوف من الأبرياء من تقتيل وتشريد وتدمير للممتلكات .

إن قصة اضطهاد المسلمين في الدول غير الإسلامية قصة مماثلة، إنها لم تعد قصة محاربة المسلمين، وإنما تجاوزت إلى محاربة الإسلام نفسه؛ فكان من واجب العالم الإسلامي أن يبدي رد فعله، ويعبر عن قلقه، ويتخذ وسائل دبلوماسية لإبداء مشاعره وأن يظهر الامتعاض بهذا السلوك في سياسته، وسلوكه ومعاملاته مع الدول التي تعتدي على ما يعتز به العالم الإسلامي من مثل، وعقائد ومناهج .

فإن نصرة المظلوم واجب إسلامي، ورفع كلمة الحق سمة للتعاليم الإسلامية، ويجب أن يكون ذلك شعار كل بلد مسلم .

***

من كنوز القرآن الكريم:

مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي

(١٨٨٤-١٩٥٣م)

(٤٢)

بقلم : محمد فرمان الندوي

الحرص : الحرص أو الطمع هو المرض الذي ينتج من دناءة النفس ، وإذا كان الحرص والطمع ممتزجا بالبخل يعرف في اللغة العربية بالشحّ ، و ورد ذم ذلك مراراً في القرآن الكريم ، وإن سوء التعامل في الحياة العائلية يحدث جراء ذلك ، فإن رب البيت لا يريد أن يعطي مالاً كثيراً ، وأفراد أسرته يطلبون منه كثيراً ، وإن الأزواج يكونون مولعين بأموالهم التي كسبوها ، فلا ينفقونها ، رغم أن الزوجات يطلبن كثيراً فكثيراً ، حرصاً وطمعاً ، وقد ذكر القرآن علاج ذلك بأن يكون هناك الإحسان إلى الآخر والإيثار على النفس ، ويحب كل إنسان الراحة للآخر ، ويشعر بأذاه ، بذلك يكون البيت الذي كان بيت الهموم والأحزان بيت الطمأنينة والراحة، و قد وَرَد عن العلاقة بين الزوجين : ﴿ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ * وَإِنْ تُحْسِنُوْا وَتَتَّقُوْا * فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْراً ﴾ {النساء/١٣٨} .

في هذا العصر التجاري يكون لكل شيئ جانب اقتصادي ، فإن الإنسان إذا لم ينفق ماله ممسكاً طمعه وحرصه في أعمال الخير لا ينجح ، سواء كان هذا النجاح للدين أو للدنيا ، قال الله عزوجلّ : ﴿ وَأَنْفِقُوا خَيْراً لأَنْفُسِكُمْ * وَمَنْ يُوْقَ شُحَّ نَفْسِه * فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴾ {التغابن/١٤}، وفي موضع آخر ذكر ضمن صفات المسلمين أنهم يقدمون حاجيات الآخرين على أنفسهم ، قال الله عزّوجلّ : ﴿ وَيُؤْثِرُوْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ * وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ * وَمَنْ يُوْقَ شُحَّ نَفْسِه * فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴾ {الحشر/٩} هذا ما يعرف بالإيثار ، وهو ذريعة لنجاح كل قوم في الدنيا والدين ، ولا ينال هذا إلا أن يكون الحرص والطمع زائلاً من النفس ، لذلك قال الله : ﴿ وَمَنْ يُوْقَ شُحَّ نَفْسِه * فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴾ (١) .

السرقة :

أخذ الإنسان شيئ غيره بدون إذنه يعرف بالسرقة ، وقد عين في الإسلام حد

السرقة وهو قطع اليد ، قال الله عزّوجلّ : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ * فَاقْطَعُوْا أَيْدِيَهُمَا * جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ * وَاللهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ﴾ {المائدة/٣٨} وليس السبب في قبح هذا العمل (السرقة) أن السارق يتصرف في مال غيره خفية بدون إذنه ، بل إن الرجل الذي يكسب المال من كسب يده يأخذه الآخر ويتلفه ، وإن لم يكن هناك رادع أو زاجر، فلا يجد رجل نتيجة كده وجهده ، وهناك سوءات أخرى مثل دخول السارق بيت الآخر بدون إذنه ، والاستيلاء عليه ، وتارة يؤدي ذلك إلى إزهاق النفس وإتلافها ، وإنفاق السارق هذا المال بدون أي خوف في جهات غير شرعية .

كان قد انتشر في العرب هذا السوء بسبب الإفلاس ، بحيث إن الإسلام قد أخذ الميثاق بترك السرقة من النساء المسلمات في سورة الممتحنة ، وذلك أن لا يسرقن ، وهذا العهد لا يختص بالنساء فقط ، بل كان النبي الكريم ﷺ يأخذه من الرجال كذلك ، وقد جاء في صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت ﷺ : كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس ، فقال : تبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تزنوا ولا تسرقوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وطهور ، ومن نَقَصَ شيئاً من ذلك ؛ فستره الله عليه فأمره إلى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ، قال : فبايعناه على ذلك {الجمع بين الصحيحين : ٦٦٧} (٢) .

التطفيف :

التطفيف من أهم أنواع السرقة ، وكثيراً ما يبتلى به التجار ، ويضرون بالفقراء ، ولا شك أن من قوانين الله الفطرية العدل ، وهو يقتضي أن يعطى كل ذي حق حقه ، وهو ما يعرف بالميزان الذي أقامه الله عزّوجلّ ؛ قال الله عزّوجلّ : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا * وَ وَضَعَ الْمِيْزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيْزَانِ * وَأَقِيْمُوْا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ * وَلاَ تُخْسِرُوْا فِي الْمِيْزَانِ ﴾ {الرحمن/٩} ويوزن عمل وقول كل إنسان بهذا الميزان ويبقى به نظام العالم .

النقص في الكيل والوزن غمط حق الآخر ، الذي يزيده الرجل في الأخذ ،

وينقصه في الإعطاء ، ويقبض مال غيره بضعف الإيمان ، وهذا نوع من السرقة ، فجاء التحذير في القرآن الكريم منه ، كان قوم شعيب عليه السلام تجاراً ، فتكرر ذكر ملاحظة الإيمان في الكيل والوزن ، قال شعيب عليه السلام : ﴿ وَأَوْفُوْا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُوْنُوْا فِيْ الْمُخْسِرِيْنَ * وَزِنُوْا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيْمِ * وَلاَ تَبْخَسُوْا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِيْ الأَرْضِ مُفْسِدِيْنَ ﴾ {الشعراء/١٨٣} .

إن هذا المرض ينتج من أن الناس ينسون الله عزّوجلّ ، ولا يذكرون أن الله سوف يحاسبهم يوم القيامة ، فقد جاء في سورة المطففين علاج لهذا المرض : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِيْنَ * الَّذِيْنَ إِذَا اكْتَالُوْا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُوْنَ * وَإِذَا كَالُوْهُمْ أَوْ وَّزَنُوْهُمْ يُخْسِرُوْنَ * أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوْثُوْنَ لِيَوْمٍ عَظِيْمٍ * يَوْمَ يَقُوْمُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ {المطففين/٦} (٣) .

الغلـــول :

المتاع الذي كان يساهم فيه رجال ، ولم يقسم بينهم ، فأخذ شيئ منه خفية يعرف بالغلول ، لكن الخيانة والسرقة التي تصدر عامة في مال الغنيمة تسمى أيضاً الغلول ، صرح القرآن بأن قائد الجيش فضلاً عن العسكري إذا ارتكب هذه السيئة كان مذنباً ، وكان الأنبياء قواداً للجيوش أيضاً ، ويعصمون من الخطأ ، فليس في خلد أحد أنهم يذنبون كما قال الله عزّوجلّ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَّغُلَّ (وقال) وَمَنْ يَّغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ * ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ * وَهُمْ لاَ يُظْلَمُوْنَ ﴾ {آل عمران/١٤١} وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام خيبر ، فلم يغنم ذهباً ولا ورقاً ، إلا الثياب والمتاع والأموال ، قال : فوجه رسول الله ﷺ نحو وادي القرى ، وقد أهدي لرسول الله ﷺ عبد أسود ، يقال له مدعم ، حتى إذا كانوا بوادي القرى ، فبينا مدعم يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له الجنة ، فقال النبي الكريم ﷺ : كلا و الذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً ، فلما سمعوا ذلك جاء رجل بشراك أو بشراكين إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : شراك من نار أو شراكان من نار {سنن أبي داؤد :٢٧١٣}. (٤)

أكل الربا :

أكل الربا جماع كل سوء من الحرص والطمع والبخل والظلم ، فالحرص بحيث إن الرابي يريد أن يكتنز عنده جميع أموال الدنيا ، والبخل بحيث إنه لا ييسر على معسر ولا يساهم بماله في أعمال الخير ، هذا هو السبب فيما إذا ذكر الله أكل الربا ضد الزكاة والخيرات ، والظلم بأنه يجعل الناس محرومين من ثمار أعمالهم ولا يرحم الرابي ، فقد قال الله عزّوجلّ محذراً من الربا بوجه خاص : ﴿ لاَ تَظْلِمُوْنَ وَلاَ تُظْلَمُوْنَ ﴾ {البقرة/٢٧٩} .

كان عمل الربا شائعاً في العرب بسبب اليهود ، وكانوا ملاك الأموال والعقارات والذخاير ، فكان الفقراء يستدينون الديون ، وكان من أسباب منع النعم من اليهود أنهم يأخذون الربا، قال الله عزّوجلّ : ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا * وَقَدْ نُهُوْا عَنْهُ * وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ {النساء/١٦١} فلما جاء الإسلام رفض هذه اللعنة التي ترهق الناس قائلاً : ﴿ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ الرِّبَا لاَ يَقُوْمُوْنَ إِلاَّ كَمَا يَقُوْمُ الَّذِيْ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ * ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوْا : إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا * وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ {البقرة/٢٧٥} .

كانت صورة الربا في الزمن الجاهلي أن الفلاحين يستدينون القروض من الأثرياء ، شريطة أدائها بمناسبة الفصل الآتي للنبات ، فلما جاء فصل النبات ولم يؤدوا زاد الأثرياء عليهم مدة بمقدار زيادة المحصولات الزراعية ، وإذا لم يتمكنوا من أدائها زيدت المدد مع زيادة المحصولات ، حتى تكون أضعافاً مضاعفة ، قال الله عزّوجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا * لاَ تَأْكُلُوْا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً * وَاتَّقُوْا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ * وَاتَّقُوْا النَّارَ الَّتِيْ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ ﴾ {آل عمران/١٣١} (٥) .

شرب الخمر :

إن شرب الخمر من عادات العرب المذمومة التي كانت سوءاتها مكشوفة للجميع ، لكن أكثر أقوام العالم ترتكب هذه الفعلة ، وقد أشارت إلى تنديد هذا المرض الكتب السابقة و لم يحسن شربها فيها ، لكن الإسلام هوالذي حرم الخمر تحريماً قطعياً ، وكان شرب الخمر في طبيعة العرب ، ويعتبر ذلك مسلاة ومفخرة في البيوتات الشريفة ، فكان تسقي الزوجات أزواجهن ، والصغار كبارهم .

لما أضاءت شمس الإسلام أرض جزيرة العرب بدأ استنكار الخمر رويداً رويداً ؛ فقال : إن الخمر ليست بشئ ، قال الله عزّوجلّ في آية ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيْلِ وَ الأَعْنَابِ تَتَّخِذُوْنَ مِنْهُ سَكَراً وَّ رِزْقاً حَسَناً * إِنَّ فِيْ ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ

يَعْقِلُوْنَ ﴾ {النحل/٦٧} فوضع الله السكر في هذه الآية مقابل : الرزق الحسن ، فعلَم منه أن السكر ليس رزقاً حسناً ، وفي آيات سورة النحل ذكرت تشبيهات لالتباس الخير والباطل ، بحيث جاء ذكر اللبن والروث والدم ، ومعه العسل أنه يخرج من بين الأنجاس مصفى وطاهراً ، وكذلك التمر والعنب ، يخرج منهما النجس مثل السُكر ، والطاهر مثل الغذاء .

ثم جاءت مرحلة أخرى لتحريم الخمر حينما جاء النبي الكريم ﷺ إلى المدينة المنورة ، فقال الله عزّوجلّ : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوْا الصَّلاَةَ * وَأَنْتُمْ سُكَارَى * حَتَّى تَعْلَمُوْا مَا تَقُوْلُوْنَ ﴾ {النساء/٤٣} هذه الآية نبهت أولي الألباب ، فاجتنبها بعض الرجال ، و بعض خصوا أوقاتاً لشربها ، فلما تم هذا الاختبار آن أوان التصريح بمنع هذه العادة ، وكانت الأسئلة تنشأ في أذهان الناس عما ذا يكون الأمر الإلهي عن الخمر والميسر ؟ فقال الله عزّوجلّ : ﴿ يَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ * قُلْ فِيْهِمَا إِثْمٌ كَبِيْرٌ * وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ * وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ﴾ {المائدة/٢١٩} فتاب عدة رجال ، لكن لم يَأت حتى الآن الحكم القطعي ، فكان بعض الناس يظنون رخصة في هذا الحكم ، ولما جاءت المرحلة النهائية الأخيرة وهي قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ * رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ * فَاجْتَنِبُوْهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ * إِنَّمَا يُرِيْدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُّوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِيْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ * وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ * فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنْتَهُوْنَ ﴾ {المائدة/٩٠-٩١} فلما جاء هذا الأمر الرباني قال الصحابة : انتهينا انتهينا .

الخمر هي ما يستولي على شيئ ، فكل طعام وشراب يخامر العقل والدماغ يأتي في إطار الخمر ، وقد روي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة {الجمع بين الصحيحين : ١٣٧٠} (٦) .

***

(١) سيرة النبي ﷺ : ٣٠٨-٣١٠ . (٢) المصدر نفسه : ٣١٢-٣١٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٣١٤-٣١٦ . (٤) المصدر نفسه : ٣١٦-٣١٨ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٢٠-٣٢٢ . (٦) المصدر نفسه : ٣٢٢-٣٢٥ .

إصدارات حديثة :

الإسلام والمشكلات الفكرية الجديدة

قلم التحرير

مؤلف هذا الكتاب فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني رئيس المعهد العالي الإسلامي بحيدرآباد .

هذا المؤلَف يشتمل على الاستعراض الجاد للدعايات والفهم الزائغ عن الشريعة الإسلامية ، على جميع المستويات ، كما أنه يُلقي ضوءً لامعاً على تعاليم الإسلام الحقيقية ، وانسجامها مع العقل والفطرة والحِكَم والمصالح، ويعرض المسائل القديمة والجديدة التي يواجهها الناس في العصر الحديث ، بأسلوب دعوي فكري مع تبيين وجهة النظر الإسلامية ، حول هذا الموضوع .

إن هذا المؤلَف مجموعة لمقالات ، حررها المؤلف في مناسبات مختلفة في بعض المجلات والجرائد الصادرة من الهند ، وقد قام الأخ العزيز الأستاذ محمد نعمة الله القاسمي بجمعها وترتيبها ، وأشرف على طباعتها في صورة كتاب إسلامي قيم .

الناشر: الهدى ملتزم الطبع والتوزيع ، حيدرآباد – الهند

الطريق نحو صالح العمل

هذا كتاب ذو أهمية خاصة بالأوضاع الحاضرة ، لقد ألقى فيه المؤلف الكريم ضوءً ساطعاً على مسئوليات المسلمين ، والأوضاع السائدة والمسائل الساخنة على المستوى الدولي والمحلي ، كما أنه قام بإبراز جوانب العبرة والموعظة في خلفية الوقائع التاريخية والأحداث المختلفة ، كما أنه قام بالتعليقات النافعة من خلال البصيرة الإيمانية على المشكلات الاجتماعية ، التي تبرز على الساحة في الظروف الحاضرة ، نتيجة ابتعاد المسلمين عن تعاليم الإسلام وسيطرة الثقافة الغربية .

هذا الكتاب أيضاً مجموعة من المقالات والبحوث ، التي نُشرت للمؤلف الكريم في جريدة "منصف" بحيدرآباد ، تحت عمود خاص : شمع فروزان (القنديل المتوقد) فقد جمعها ورتبها الأخ العزيز الشيخ محمد نعمة الله القاسمي ، وتولى نشرها باسم : الطريق إلى صالح العمل : الهدى للنشر والتوزيع ، حيدرآباد – وذلك باهتمام من المعهد العالي الإسلامي ، حيدرآباد – والكتاب باللغة الأردية ، وهو جدير بالترجمة إلى العربية .

الفلسفة الإسلامية للزلازل

هذا الكتاب نتيجة للدراسات المقارنة التي قام بها الشيخ أنيس الرحمن الندوي في

يَّعْقِلُوْنَ ﴾ {النحل/٦٧} فوضع الله السكر في هذه الآية مقابل : الرزق الحسن ، فعلَم منه أن السكر ليس رزقاً حسناً ، وفي آيات سورة النحل ذكرت تشبيهات لالتباس الخير والباطل ، بحيث جاء ذكر اللبن والروث والدم ، ومعه العسل أنه يخرج من بين الأنجاس مصفى وطاهراً ، وكذلك التمر والعنب ، يخرج منهما النجس مثل السُكر ، والطاهر مثل الغذاء .

ثم جاءت مرحلة أخرى لتحريم الخمر حينما جاء النبي الكريم ﷺ إلى المدينة المنورة ، فقال الله عزّوجلّ : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوْا الصَّلاَةَ * وَأَنْتُمْ سُكَارَى * حَتَّى تَعْلَمُوْا مَا تَقُوْلُوْنَ ﴾ {النساء/٤٣} هذه الآية نبهت أولي الألباب ، فاجتنبها بعض الرجال ، و بعض خصوا أوقاتاً لشربها ، فلما تم هذا الاختبار آن أوان التصريح بمنع هذه العادة ، وكانت الأسئلة تنشأ في أذهان الناس عما ذا يكون الأمر الإلهي عن الخمر والميسر ؟ فقال الله عزّوجلّ : ﴿ يَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ * قُلْ فِيْهِمَا إِثْمٌ كَبِيْرٌ * وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ * وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ﴾ {المائدة/٢١٩} فتاب عدة رجال ، لكن لم يَأت حتى الآن الحكم القطعي ، فكان بعض الناس يظنون رخصة في هذا الحكم ، ولما جاءت المرحلة النهائية الأخيرة وهي قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ * رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ * فَاجْتَنِبُوْهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ * إِنَّمَا يُرِيْدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُّوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِيْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ * وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ * فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنْتَهُوْنَ ﴾ {المائدة/٩٠-٩١} فلما جاء هذا الأمر الرباني قال الصحابة : انتهينا انتهينا .

الخمر هي ما يستولي على شيئ ، فكل طعام وشراب يخامر العقل والدماغ يأتي في إطار الخمر ، وقد روي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة {الجمع بين الصحيحين : ١٣٧٠} (٦) .

***

(١) سيرة النبي ﷺ : ٣٠٨-٣١٠ . (٢) المصدر نفسه : ٣١٢-٣١٤ .
(٣) المصدر نفسه : ٣١٤-٣١٦ . (٤) المصدر نفسه : ٣١٦-٣١٨ .
(٥) المصدر نفسه : ٣٢٠-٣٢٢ . (٦) المصدر نفسه : ٣٢٢-٣٢٥ .

إصدارات حديثة :

الإسلام والمشكلات الفكرية الجديدة

قلم التحرير

مؤلف هذا الكتاب فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني رئيس المعهد العالي الإسلامي بحيدرآباد .

هذا المؤلَف يشتمل على الاستعراض الجاد للدعايات والفهم الزائغ عن الشريعة الإسلامية ، على جميع المستويات ، كما أنه يُلقي ضوءً لامعاً على تعاليم الإسلام الحقيقية ، وانسجامها مع العقل والفطرة والحِكَم والمصالح، ويعرض المسائل القديمة والجديدة التي يواجهها الناس في العصر الحديث ، بأسلوب دعوي فكري مع تبيين وجهة النظر الإسلامية ، حول هذا الموضوع .

إن هذا المؤلَف مجموعة لمقالات ، حررها المؤلف في مناسبات مختلفة في بعض المجلات والجرائد الصادرة من الهند ، وقد قام الأخ العزيز الأستاذ محمد نعمة الله القاسمي بجمعها وترتيبها ، وأشرف على طباعتها في صورة كتاب إسلامي قيم .

الناشر: الهدى ملتزم الطبع والتوزيع ، حيدرآباد - الهند

الطريق نحو صالح العمل

هذا كتاب ذو أهمية خاصة بالأوضاع الحاضرة ، لقد ألقى فيه المؤلف الكريم ضوءً ساطعاً على مسئوليات المسلمين ، والأوضاع السائدة والمسائل الساخنة على المستوى الدولي والمحلي ، كما أنه قام بإبراز جوانب العبرة والموعظة في خلفية الوقائع التاريخية والأحداث المختلفة ، كما أنه قام بالتعليقات النافعة من خلال البصيرة الإيمانية على المشكلات الاجتماعية ، التي تبرز على الساحة في الظروف الحاضرة ، نتيجة ابتعاد المسلمين عن تعاليم الإسلام وسيطرة الثقافة الغربية .

هذا الكتاب أيضاً مجموعة من المقالات والبحوث ، التي نُشرت للمؤلف الكريم في جريدة "منصف" بحيدرآباد ، تحت عمود خاص : شمع فروزان (القنديل المتوقد) فقد جمعها ورتبها الأخ العزيز الشيخ محمد نعمة الله القاسمي ، وتولى نشرها باسم : الطريق إلى صالح العمل : الهدى للنشر والتوزيع ، حيدرآباد - وذلك باهتمام من المعهد العالي الإسلامي ، حيدرآباد - والكتاب باللغة الأردية ، وهو جدير بالترجمة إلى العربية .

الفلسفة الإسلامية للزلازل

هذا الكتاب نتيجة للدراسات المقارنة التي قام بها الشيخ أنيس الرحمن الندوي في

ضوء الأحاديث الشريفة وعلم الأرض ، هذا الكتاب باللغة الأردية ثم نقل إلى العربية ونُشر ككتاب عربي ، تولت نشره الأكاديمية الفرقانية (الوقف) بمدينة بنغلور، وفي الكتاب اكتشاف لجبل قاف ، وبيان عن أهمية الجيولوجيا لهذه المنطقة ، وهو يحتوي على أربعة أبواب ، **الباب الأول** : الفلسفة الإسلامية للزلازل ، **الباب الثاني** : تاريخ دراسة علم الزلازل ، **والباب الثالث** : التطبيق بين الأحاديث الشريفة وعلم الطبيعة ، **الرابع** : كثرة أحداث الزلازل والبراكين .

فضائل الجمعة ومسائلها

رسالة في فضائل الجمعة ومسائلها أصدرها فضيلة الأستاذ انتخاب عالم الندوي ، وفيها تفاصيل عن الفضائل ومسائل الجمعة ، التزم بنشرها المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بالشهم ، باهتمام من وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، بالمملكة العربية السعودية .

هذا الكتاب باللغة الأردية ، ولعل المؤلف العزيز ينقلها إلى اللغة العربية ، لكي يعم نفعها في المجتمعات العربية .

وفاة ابن سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، إبراهيم ﷺ

هذه الرسالة توفر الدليل الفلكي لحادث كسوف الشمس ، هل كان ذلك نتيجة وفاته ﷺ أم كان وفقاً للحساب الفلكي المعلوم ، ألفها في ضوء دراسة مقارنة للأحاديث الشريفة والحسابات الفلكية الأستاذ أنيس الرحمن الندوي ، وتولى نشرها الأكاديمية الفرقانية بمدينة بنغلور .

الزيتون ومنافعه الخارقة ، ونبوءة قرآنية عظيمة

هذه الرسالة تحتوي على بيان أهمية الزيتون في الأحاديث الشريفة ، كما روي عن عمر ﷺ عن النبي الكريم ﷺ : ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه شجرة مباركة {ابن ماجة : ١١٠٣/٢، مستدرك : ١٣٥/٤، مسند بزار : ٢٧٦} .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي الكريم ﷺ أنه قال : كلوا الزيت ، وادهنوا به ، فإنه من شجرة مباركة {سنن الترمذي : ١٨٥١، سنن الدارمي : ٢٠٥٢، سنن النسائي الكبرى : ٦٧٠٢، المستدرك على الصحيحين : ٣٥٠٤} .

ومن بعض عناوينه المهمة : الزيتون في الطب الإسلامي ، الزيتون في الطب الجديد ، الاكتشاف العلمي الجديد ونبوءة القرآن الكريم ، وما إلى ذلك .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٠٥٢٢ -٢٧٨٧٧١٠

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظ الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة: "البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٥٧ عاما بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها الثامن والخمسين. والحمد لله. ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT
NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93, LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)